كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدمياط الجديدة
المجلة العلمية
العدد (١١) ديسمبر ٢٠٢٢م

الشخصية المسرحية [شيلوك]
بين شكسبير وباكثير

دراسة مقارنة

الدكتور

محمد سمير عبد المعطى

مدرس الأدب والنقد
جامعة الأزهر

الملخص باللغة العربية والإنـجليزية

ملخص البحث:

تدور فكرة هذا البحث حول دراسة شخصية مسرحية ظهرت في المسرح الإنجليزي عند الأديب شكسبير ثم استوحاها الأديب العربي الإسلامي على أحمد باكثير وهي شخصية (شيلوك) وهذا البحث يحاول الوقوف على ملامح الاتفاق والاختلاف بين الأديبين ونظرة كل منهما للشخصية، وكيف وظف كل منهما الشخصية لرؤيته حسب تصوره الديني والثقافي والسياسي.

وتناول البحث التعريف بمصطلح الشخصية المسرحية، والتعريف بالكاتبين، ثم دراسة أبعاد الشخصية في المسرحيتين، ودراسة آليات وصف الشخصية عندهما

والبحث في مجمله يسعى إلى الكشف عن قدرة باكثير في إعادة توظيف الشخصية بصورة أكثر حيوية تلائم العصر وأحداثه.

اتفق كل من الكاتبين في استخدام أبسط ما يمكن استخدامه من الشخصيات، أقصد الشخصيات النمطية التي لا تمثل إلا جانبًا واحدًا من الأخلاق أو الطباع فكاظم الفياض وميخائيل وأخوه كساب وعبد الله الفياض يمثلون الثورة الفلسطينية، و شيلوك وبقية رجاله من الصهاينة يمثلون الوجه القبيح للمحتل، كما اتفقا في استخدام الجانب الطبقي للشخصيات، فقد استخدم شكسبير شخصية السيد (شيلوك) والخادم (لانسلوت) والسيدة (بورشيا) والخادمة (نيربسا) واستخدم باكثير شخصية السيد (كاظم بك الفياض) والخادم (رجب) و(عبد الله الفياض) والخادم (عثمان) وهكذا.

اتفق كل من الكاتبين في البعد الاجتماعي لشيلوك، من حيث طبيعة الشخصية وعملها، وإن كان باكثير أكثر دقة في اختياره أسماء شخصياته من حيث دلالة الاسم على الشخصية وعلى عملها.

اختلف الكاتبان في استخدامهما (المنولوج) فقد ورد عند باكثير، ولم يرد عند شكسبير، وكان وروده عند باكثير مرة واحدة، ولعل ذلك راجع لعدم شيوعه في هذا

الزمن، أو أن وجوده سيصيب المشاهد بالملل لقلة الحركة التي اعتادها المشاهد على خشبة المسرح.

البعد الإنساني أقوى عند شكسبير منه عند باكثير؛ لأن شكسبير أثار فينا مشاعر العطف على شيلوك، وأتاح له الفرصة كي يبرر تصرفاته ويدافع عنها وهو يصور لنا آدميًا متعدد الأبعاد، وليس مجرد وحش كاسر بغيض يلعنه الناس.

البعد الاقتصادي أقوى عند باكثير منه عند شكسبير؛ لأن شيلوك شكسبير كان سلبيًا ينتظر الفرص حتى تتاح له، وبعد ذلك يتم له السيطرة على المجال الاقتصادي، بينما شيلوك باكثير كان إيجابيًا يصنع الفرص – بنفسه – التي تمكنه من إفقار العرب وإثقال كاهلهم بكثرة الديون، ثم يسيطر على أراضيهم وعلى المجال المالي والاقتصادي.

الكلمات المفتاحية:

الشخصية - البعد – شكسبير – باكثير- شيلوك – تاجر البندقية.

Abstract:

The idea of this research revolves around the study of a theatrical character that appeared in the English theater when the writer Shakespeare and then was inspired by the Arab Islamic writer Ali Ahmed Bakathir، who is the character (Shylock). His religious، cultural and political perception.

The research dealt with defining the term theatrical personality، introducing the two writers، then studying the dimensions of personality in the two plays، and studying the mechanisms of describing their personality.

And the research in its entirety seeks to reveal Bacter's ability to re-employ the character in a more lively manner that suits the times and its events.

Both writers agreed to use the simplest of characters that can be used، I mean stereotypical characters that represent only one aspect of morals or character. Kazem al-Fayyad، Mikhail and his brother Kassab and Abdullah al-Fayyad represent the Palestinian revolution، and Shylock and the rest of his Zionist men represent the ugly face of the occupier، as they agreed in Using the class aspect of the characters، Shakespeare used the character of Mr. (Shylock)، the servant (Lancelot)، the lady (Porcia) and the maid (Nerpsa)، and Bakathir used the character of the master (Kadhim Bek Al-Fayyad)، the servant (Rajab)، (Abdullah Al-Fayyad)، the servant (Othman)، and so on.

Both writers agreed on the social dimension of Shylock، in terms of the nature of the character and his work، although he was much more accurate in choosing the names of his characters in terms of the name's indication of the character and his work.

The two writers differed in their use of the monologue، as it was mentioned by Bakathir، and it was not mentioned by Shakespeare، and it was mentioned by Bakathir once، and perhaps this is due to its lack of popularity at this time، or that its presence will make the viewer bored due to the lack of movement that the spectator is accustomed to on stage.

The human dimension is stronger for Shakespeare than for Buckthorn; Because Shakespeare evoked feelings of sympathy for Shylock in us، and gave him the opportunity to justify and defend his actions as he portrayed us as a multi-dimensional human being، and not just a monstrous، hateful beast cursed by people.

The economic dimension is much stronger for Bakhtiar than for Shakespeare; Because Shylock Shakespeare was passive، waiting for opportunities until they became available to him، and after that he gained control of the economic field، while Shylock with much was positive، creating opportunities - himself - that would enable him to impoverish the Arabs and burden them with a lot of debts، then control their lands and the financial and economic field.

Keywords: Character - Dimension - Shakespeare - Buckther - Shylock - The Merchant of Venice.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد.

فهذا البحث يتناول دراسة الشخصية المسرحية (شيلوك) بملامحها وأبعادها المختلفة بين كل من الأديب الإنجليزي وليم شكسبير في مسرحيته (تاجر البندقية)، والأديب الإسلامي على أحمد باكثير في مسرحيته (شيلوك الجديد)، للوقوف على ملامح الاتفاق والاختلاف بين الأديبين ونظرة كل منهما للشخصية، وكيف وظف كل منهما الشخصية لرؤيته حسب تصوره الديني والثقافي والسياسي.

والمسرحية الأولى "تاجر البندقية" لوليم شكسبير، هي المسرحية الأصل، ومن نتاج شكسبير، وقد قام على ترجمتها عدد كبير من الأدباء العرب (١).

واستلهم أحداثها الأديب الإسلامي الكبير علي أحمد باكثير، وقدم مسرحيته "شيلوك الجديد"، ولا شك في أن تناول الأديب الإسلامي باكثير يختلف كثيرًا عن تناول الأديب الإنجليزي وليم شكسبير لشخصية (شيلوك)، ولا شك كذلك في أن بينهما اتفاقًا واختلافًا في بعض الأمور يكون سببا لدراسة المسرحيتين، وهذا ما سيوضحه البحث في الصفحات التالية.

وقد اعتمدت على نقل النصوص من مسرحية "تاجر البندقية" لوليم شكسبير، والتي قام بترجمتها الأستاذ/ حسين أحمد أمين.

هذا وقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث، يسبقهم **تمهيد** ويتضمن:

أولاً: تعريف الشخصية المسرحية (المفهوم - الخصائص - الأبعاد).

---

(١) من هؤلاء: الأستاذ/ حسين أحمد أمين، والشاعر/ خليل مطران، والدكتور/ مختار الوكيل، والدكتور/ محمد عنان... وغيرهم.

آخرًا: إلقاء الضوء على حياة الكاتبين (شكسبير وباكثير).

ثم يأتي بعد ذلك **المبحث الأول** بعنوان: (عرض المسرحيتين).

المبحث الثاني بعنوان: (أبعاد شخصية شيلوك بين شكسبير وباكثير) وتناول:

١. البعد الجسماني.
٢. البعد الإنساني.
٣. البعد الاقتصادي.
٤. البعد السياسي.
٥. البعد الأخلاقي.
٦. البعد الديني والثقافي.
٧. البعد الاجتماعي.
٨. البعد النفسي.

المبحث الثالث بعنوان: (آليات وصف الشخصية بين شكسبير وباكثير)، ثم يعقب هذا الخاتمة وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وبعد ذلك ثبت المصادر والمراجع.

وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم إنه على ما يشاء قدير.

تمهيد

أولاً: الشخصية المسرحية

(المفهوم – الأنواع - الخصائص)

يعد المسرح أحد الأجناس الأدبية التي كان لها نصيب وافر في الأدب الغربي قديمه وحديثه، فنال مكانة كبيرة عند الغرب إبداعاً وتنظيراً، إلا أنه لم يكن له وجود عربي إلا في العصر الحديث عن طريق اتصال الشرق بالغرب.

ولعل وراء تأخر ظهور هذا الجنس الأدبي في الأدب العربي أسباب كثيرة، أهمها النزعة الغنائية التي اتسم بها الشعر العربي الذي ظل يمثل فن الكلمة الأول عند العرب، وقد كان اتصال الشرق بالغرب قديما يقوم على أستاذية الشرق وتقدمه مما قد يؤخر فكرة التأثر، فضلا عن ميل العرب إلى الإنشاد أكثر من ميلهم للتمثيل، ربما كانت هذه الأسباب ضمن أسباب أخرى وراء تأخر ظهور المسرح في الأدب العربي.

ويلاحظ أنه عندما نشأ المسرح العربي كان يتسم بطبيعة الشعر العربي من الغنائية في بعض الأحيان، كما هي الحال في مسرح الرائد الأول للمسرح العربي الشاعر [أحمد شوقي]، لكنه في نفس الوقت كان متأثراً بالأدب الغربي في طبيعة الموضوعات ونوعيتها فضلاً عن الخصائص الفنية المتنوعة للمسرح الغربي، فقد رأينا المسرحيات الأوربية التي ترجم إلى العربية وتمثل على المسرح تميل إلى أن يكون محور المسرحية شخصية (تاريخية أو واقعية) تحمل عنواناً للمسرحية، فكما كتب [شكسبير] (عطيل ورميو وجولييت)، كتب [شوقي] (مصرع كليوباترا ومجنون ليلي وقمبيز)، وهذا يعطينا مؤشرا مهما في طبيعة المسرح بصفة عامة وهو أن الشخصية تمثل العمود الفقري في المسرحية، فهي التي تجسد الأحداث وتدفعها، وتنقل الحوار للمشاهد، وتنشئ الصراع، وحولها تقوم الحبكة الدرامية للنص المسرحي، وتتضح أهمية الشخصية المسرحية داخل البناء الفني المسرحي حين نلاحظ تداخل الشخصية بين المسرح العربي

والغربي، فنرى بعض الشخصيات كشخصية [شيلوك] تظهر برمزيتها بين الأدبين العربي والإنجليزي، فتتقارب الشخصية بين الأديبين حينًا وتتباعد حينًا آخر، وهذا من شأنه أن يعطينا مؤشرًا واضحًا لفاعلية الشخصية داخل البناء المسرحي من حيث المضمون ومن حيث القيم الفنية، وعلى هذا فإن الشخصية المسرحية أحد دعائم العمل المسرحي، وهى الوسيلة التي تعرض الأفكار، وتجسد الأحداث والوقائع في صورة حية نابضة متحركة، وهي في أبسط تعريف لها "مصدر للحبكة التي يمكن أن تتطور من خلال الأقوال والأفعال التي تصدرها الشخصية " [١].

كما أنها الوسيلة التي يعتمد عليها الكاتب المسرحي في نقل أفكاره إلى الجمهور، وهي "ذلك الكيان المؤثر في تسيير حركة الأحداث في المسرحية بطريق مباشر أو غير مباشر" [٢].

وتختلف الشخصية المسرحية عن الشخصية في أي عمل أدبي آخر فهي في القصة الشعرية أحادية الزوايا لا تعطينا إلا ملمحاً واحدًا، أو جانباً مستقلاً من جوانب وسمات الشخصية، وتتسم أيضاً بالتفرد على ساحة اللوحة الشعرية، فيأبى الشاعر أن يجعل بجوارها شخصيات متعددة، وغالباً ما يقوم الشاعر فيها بدور الحكاء الذي يروى موقفاً بين اثنين، وتكتمل اللوحة الشعرية الخاطفة، والمشهد الذي تعكسه اللوحة الشعرية حين يمثل موقفاً منفرداً من حياة الشخصية، أما الشخصية الروائية فعلى الرغم من اقترابها الشديد من الشخصية المسرحية إلا أنها تتسم بسمات مختلفة، أهمها: أن التعريف بالشخصية الروائية يأتي من خلال السرد، أما المسرحية فيكون من خلال استبطان الحوار واستكناه أغواره، والشخصية المسرحية بحكم أنها تقف أمام النظارة لابد أن تكون قصيرة الحوار، أما الشخصية الروائية، فقد يتسم حوارها في بعض المواقف والمشاهد الروائية بالاستطراد ولكن بحيث لا يؤدى إلى الملل.

---

(١) معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية دكتور ابراهيم حماده ص ١٥٥ طبعه دار المعارف

(٢) الشخصية الشريرة في الأدب المسرحي دكتور عصام بهي ص ١٠٠ طبعه الهيئة المصرية العامة للكتاب سنه ٢٠٠٧م

من هنا فإن الشخصية المسرحية تتكفل بمهام تجعلها المحور المادي المتحرك داخل النص المسرحي فهي "الوجود الحي الملموس الذي يراها المشاهدون ويتابعون من خلال سلوكه وانفعالاته وحواره وكل المعاني التي يحملها الحدث المسرحي وبناء المسرحية العام وإنها بهذا - دون انفصال عن غيرها من العناصر- أهم عناصر المسرحية وأقدرها على إثاره اهتمام المشاهد" (١).

من هنا يبرز الدور المحوري الذي تقوم الشخصية المسرحية في عرض الأفكار وحمل باقي عناصر البناء الفني المسرحي؛ لذا فلا بد أن تتسم بسمات تمنحها القوة والبراعة الفنية، أهم هذه السمات:

١. أن تكون الشخصية المسرحية مقبولة في التصور العقلي للمشاهد والقارئ "فلا يقبل من الكاتب المسرحي أن يقدم شخصية تفقد صلتها بالعالم الحقيقي" (٢).

٢. أن تكون الشخصية متوازنة في ملامحها الشخصية فلا تناقض سلوكياً أو فكرياً "وهو ما يسمى بوحدة الشخصية في عمقها وما أسماه أرسطو قديماً بالتكافؤ المنطقي" (٣).

٣. أن تكون للشخصية ملامحها المؤثرة في الحدث فتخلق لنفسها مكاناً داخل النص المسرحي ومساحة مؤثرة في مجرياته، ويكون ذلك من خلال قدرة الشخصية على "الحديث عن نفسها، والتعبير عن مكنوناتها دون إسهاب أو اقتضاب" (٤).

---

(١) فن المسرحية د/ عبد القادر القط ص١٥ طبعة الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان طبعة أولى ١٩٩٨ م

(٢) النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال ص٥٦٨ طبعه نهضه مصر بتصرف

(٣) السابق ٥٦٩ بتصرف

(٤) معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية ص ١٥٥

٤. أن تنتمي الشخصية لأحد التيارين الرئيسين المتضادين والمتصارعين داخل المسرحية، ولكنها في نفس الوقت لابد أن تكون لها سماتها الخاصة بها فلا تتشابه مع شخصيات أخرى داخل النص المسرحي "فلا يقبل أن تكون هناك أكثر من شخصية لها نفس الصفات والأفعال بحيث لا يمكن التمييز بينهم" [١].

٥. أن يأخذ كل نوع من الشخصيات طريقاً مستقلاً في حواره ولغته وفكره داخل المسرحية فلا بد من "مراعاة الفروق الطبيعية والنوعية بين الذكر والأنثى وبين السادة والعبيد والملوك والرعية وهكذا، فلكل طائفة خصائص لغوية وفكرية " [٢].

٦. أن تكون الشخصية المسرحية ممكنة التصور "حتى تكون مقبولة لدي المشاهد ويكون أكثر استجابة لأفكارها" [٣] وذلك لأمور، أهمها: ارتباط المسرح بالنظارة، ولأن الإغراق في الخيال في رسم صور الشخصيات بصورة غير مقبولة عقليا يؤدي إلى عدم قبول المشاهد لها، ولأن الخيال العربي الذي يتسم بالسهولة والوضوح يختلف عن الخيال الأوروبي الذي يميل إلى الخيال المركب وتشيع فيه الأوهام والأساطير والخرافات.

٧. أن تُراعى المراحل العمرية للشخصيات لغة وفكرًا وسلوكًا [٤].

أنواع الشخصية المسرحية.

تتنوع الشخصيات المسرحية حسب ظهورها على المسرح أو دورها الذي تقدمه إلى نوعين رئيسين: شخصيات محورية (رئيسة) وشخصيات ثانوية (مساعدة).

---

(١) المسرحية في الأدب العربي الحديث د/ محمد يوسف نجم ص ٤٠٧ الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م

(٢) معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية ص ١٥٥

(٣) السابق ص ١٥٥.

(٤) ينظر: معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية ص ١٥٥

- الشخصية الرئيسة: هي التي تلتف حولها كل الأحداث، وتقوم هي بالتأثير فيها، وتعد بمثابة المحرك الأول للحدث المسرحي، ولذا يتطلب هذا ظهورها فترة أطول علي خشبة المسرح، وقد قال عنها الدكتور إبراهيم حماده: "إنها بمثابة الممثل الأول الذي كان يلعب الدور القيادي في الدراما الإغريقية القديمة ثم يلعب أدوارًا أخرى ثانوية وغير ثانوية في المسرحية نفسها، أما الآن: فيطلق المصطلح على الشخصية التي تلعب الدور الأساسي في المسرحية كنص مكتوب" (١).

- أما الشخصية الثانوية أو المساعدة فهي "الشخصية المسرحية التي لها وظيفة في مجرى الأحداث، ولكنها ليست وظيفة ضرورية وهامة لتطوير الحبكة الدرامية " (٢).

وهناك أنواع أخرى مساعدة في المسرحية لكن ما يهمنا هنا هو الحديث عن الشخصية الرئيسة أو المحورية لأنها ستكون محل الدراسة في المسرحيتين (تاجر البندقية لشكسبير – و شيلوك الجديد لباكثير).

ثانيا: التعريف بالكاتبين (شكسبير وباكثير).

التعريف بالكاتبين (شكسبير وباكثير) رغم ظهورهما الواضح وعدم حاجتهما إلى تعريف قد يكون حشوًا، إلا أن التعريف قد يكون ضرورة طالما أنه يخدم فكرة البحث، من هنا سيقتصر البحث على إلقاء ضوء موجز على حياة كل منهما.

١- "وليم شكسبير".

ولد الأديب الإنجليزي وليم شكسبير في ٢٣/ابريل١٥٦٤م في قرية ستارت فورد على نهر آفون بإنجلترا وكان أبوه تاجراً موسراً لا علم له بالكتابة إلا أنه تعرض لأزمات متكررة جعلت شكسبير يشقى في حياته ويعمل في أعمال مختلفة وهو صغير السن، إلى أن سافر إلى لندن وعمل ملقناً بأحد المسارح فيها إلى أن كلفته الفرقة المسرحية بمراجعة

(١) السابق، ص ١٥٦.

(٢) السابق، ص١٥٧.

بعض المسرحيات بعد شرائها من أصحابها، ثم بدأ في التأليف وكتابة المسرحيات التي كتبت له الشهرة والخلود في الأدب الإنجليزي، وأنتج بعضها لنفسه وهذا جعله يعيش في ثراء إلى أن توفى بعد صراع مع المرض سنة ١٦١٦م[١].

وبهذا نلاحظ أن حياة شكسبير وشخصيته تنعكس بصورة واضحة في مسرحيته تاجر البندقية محل الدراسة التي تمثل صراع النفس والمال، فالشخصية المحورية في المسرحية يعمل تاجراً وتعرض لأزمات متعددة انتهت بنجاته، وهكذا كانت حياة شكسبير ووالده من قبله؛ صراع من أجل البقاء، وخسران للتجارة إلا أنه في النهاية فاز بالمال كشخصية أنطونية في تاجر البندقية فالمسرحية تعكس حياته.

ورغم هذه الملاحظة التي أراها نابعة من مسرحية "تاجر البندقية " ومن حياة شكسبير إلا أنه في مجمله العام كان يقوم بـ"تجريد شخصيته من أعماله الفنية، فكل شخصية من شخصياته لها خصائصها التي لا تمت إلى شخصية شكسبير بصلة، وربما ساعده على هذا خياله الخصب الذي منحه قدرة كبيرة على الخلق والإبداع وكان شكسبير أبعد ما يكون عن التعبير، فالأحاسيس والأفكار التي تزخر بها مسرحياته ليست أحاسيسه وأفكاره هو، بل هي دائما أحاسيس وأفكار شخصياته في المواقف الدرامية المعينة التي يقفونها" [٢].

إذن فنحن أمام شخصية شعرية مميزة له كيانها الأدبي الراقي في الأدب الإنجليزي بما له من خصائص فنية فتتجلى "عظمة شكسبير في الطريقة التي يحبك بها أطراف

(١) ينظر: قيم فنية وجمالية في مسرح شكسبير (تاجر البندقية) نموذجا. دكتور فرج محمد فرج مجلة كلية التربية النوعية جامعة المنوفية العدد الثاني يونيو ٢٠١٤م الجزء الاول ص ٣٣٨ وينظر: مقدمة مسرحية "خاب سعي العشاق" لويليام شكسبير ترجمة إبراهيم جلال الدار العالمية للكتب والنشر طبعه أولى ٢٠١٠ م

(٢) قيم فنية وجمالية في مسرح شكسبير ص٣٣٩

القصة لتصبح مسرحية فنية متكاملة، وفي الطريقة التي يصور فيها الشخصيات المتعددة وتطورها بحيث تصبح إنسانية واقعية " [١].

٢- على أحمد باكثير.

اسمه: علي بن أحمد بن محمد باكثير الكندي ولد في ٢١ من ديسمبر ١٩١٠م في أندونيسيا لأبوين من حضرموت اليمن وحين بلغ العاشرة من عمره سافر به أبوه إلى حضرموت فنشأ هناك نشأة عربية إسلامية، وتوجه بعد ذلك إلى عدن ومنها الى الصومال والحبشة والحجاز وفيها كتب أول عمل مسرحي شعري له متأثراً بمسرح شوقي الشعري وهو همام أو في بلاد الأحقاف، وسافر إلى مصر والتحق بجامعة فؤاد الأول وحصل على ليسانس الآداب قسم اللغة العربية الإنجليزية وقد ترجم مسرحية روميو وجوليت لشكسبير بالشعر المرسل وبعدها بعامين ألَّف مسرحية أخناتون ونفرتيتي بالشعر الحر، وأنجز الملحمة الإسلامية الكبرى عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله، كما استطاع من خلال أعماله الفنية أن يكشف عن جذور بعض الحركات والاتجاهات السياسية والاجتماعية التي عاصرها مثل الاتجاه الاشتراكي وذلك في روايته الثائر الأحمر، وله أعمال أدبية غزيرة ومتنوعة ليس المقام مقام بسطها، توفي في غرة رمضان عام ١٣٨٩هـ الموافق ١٠ نوفمبر ١٩٦٩م[٢].

وبهذا تتضح أبعاد شخصية باكثير الإسلامية، هذه الشخصية التي ترى قضية فلسطين من أهم القضايا التي تشغل وجدانه ووجدان كل مسلم وعربي، وهنا يتجلى فكره الإسلامي العام في هذه المسرحية محل الدراسة (شيلوك الجديد)، وتجلى فيها

---

(١) السابق ذاته

(٢) يراجع كتاب: فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية لعلي أحمد باكثير، ص٤، وما بعدها مكتبة مصر القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٨٥ هـ، وكتاب: على أحمد باكثير في مرآة عصره دكتور محمد أبو بكر حميد، ص١٨، مكتبة مصر القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٨٥هـ وكتاب: في المسرح المصري المعاصر دكتور محمد مندور ص ١٠٢ فصل بعنوان: مسرح باكثير في معهد التمثيل طبعة دار نهضة مصر القاهرة

أيضاً علاقته بالأدب الإنجليزي عامة وبشكسبير على وجه الخصوص، من هنا فإن هذه المسرحية نبعت من روافد عديدة:

أ) فكره الإسلامي وثقافته الدينية.

ب) اهتمامه بالقضية الفلسطينية وثقافته الإنجليزية واطلاعه على أدب شكسبير.

ج) قدرته الفنية في جمع شتات الأفكار وتطويع ما كان لما سيكون، فقد استطاع أن يحول شخصية شيلوك من مسارها الشكسبيرى القديم إلى اتجاهها الحديث الذي يهدف إليه.

المبحث الأول

عرض المسرحيتين

أولاً: عرض مسرحية "تاجر البندقية " لـ "وليم شكسبير"

تبدأ أحداث مسرحية تاجر البندقية باستنجاد بسانيو بصديقه أنطونيو كي يقرضه مبلغاً من المال؛ ليتمكن من الزواج من فتاته الجميلة بورشيا، صاحبه النسب والحسب والمال، والتي يتنافس على الاقتران بها الكثير من علية القوم، ولكن أنطونيو ليس معه المال الذي يعطيه إياه؛ لأن كل تجارته على السفن في البحر، إلا أن أنطونيو قرر أن يقترض هذا المبلغ من اليهودي المرابي شيلوك، وسيقوم برد المبلغ عند رجوع سفنه وبضاعته بعد ثلاثة أشهر، ذهب بسانيو ليقترض من شيلوك فوافق اليهودي، وذكر أنه لم يأخذ زيادة على المبلغ، بشرط أن يكون الضامن هو أنطونيو، وأن يكتب شرطا على أنطونيو، يفيد أنه في حاله عدم السداد في الوقت المحدد يكون لشيلوك الحق في قطع رطل من لحم أنطونيو، ووافق أنطونيو على هذا الشرط لاعتقاده أن هذا الشرط لن يتحقق أبدا؛ لأن سفنه وتجارته ستعود بالطبع قبل موعد سداد القرض بأيام كثيرة، وأخذ صديقه المقرب بسانيو المال وسافر الى حبيبته بورشيا في مدينتها بلمونت، واستطاع أن يحظى بها ويتزوجها، وكان لشيلوك المرابي ابنة تسمى جيسكا، وكانت تكره الحياة مع والدها، وكانت تحب شابا مسيحيا يسمى لورنيزو وهربت معه إلى خارج البندقية لتتزوجه، وذلك لعلمها بعدم موافقة والدها على زواجها من هذا الشاب، وأخذت معها جزءاً من أموال والدها.

ولم تأت سفن أنطونيو بعد مرور ثلاثة أشهر، وكانت هناك إشاعات تنبئ عن غرقها في البحر، وأنه خسر كل تجارته، وحينئذ فرح شيلوك اليهودي فرحا شديدا؛ لأنه كان يكره أنطونيو وينتظر الفرصة كي ينتقم منه؛ لأن أنطونيو مسيحي وشيلوك يهودي يكره المسيحيين؛ ولأنه كذلك كان يسخر منه كثيرًا ويصفه بأوصاف وضيعة

حقيرة، لانتسابه إلى اليهودية، ولجشعه وتعامله بالربا، علاوة على حسن تعامل أنطونيو مع الناس جميعا، فقد كان يقرضهم الأموال الكثيرة دون فائدة، مما أثر على شيلوك وأمواله ويسرع شيلوك إلى المحكمة كي يقاضي أنطونيو الذي لم يستطع سداد القرض، وتصل الأنباء إلى بسانيو فيخبر زوجته بالقصة وتسرع لنجدة صديقة المقرب أنطونيو، وتتأثر زوجته بورشيا بهذه القضية، وتعمل ذكاءها وحيلتها من أجل تخليص أنطونيو من هذه المشكلة، فتتفق مع أحد المخلصين لها من أقاربها الذين يعملون بالمحاماة على أن تدافع هي بدلاً منه عن أنطونيو في المحكمة، وترتدي ملابس الرجال، وتذهب إلى المحكمة دون علم أحد إلا خادمتها.

وتستعطف بورشيا شيلوك اليهودي كي يعفو عن أنطونيو، ويقبل ما عرضه عليه بسانيو وأنطونيو من رد أضعاف مبلغ الدين، ولكنه يرفض تماما كما رفضه من غيرها قبل أن تحضر إلى ساحة المحكمة، ويصر على قطع رطل من لحم أنطونيو، فتقول له افعل واقطع اللحم، ولكن بشرطين أحدهما أن يقطع رطلا واحدا من اللحم من غير زيادة أو نقصان، فاذا زاد المقدار أو قل فسوف يكون الموت مصيره، وحينئذ تصادر الدولة جميع ممتلكاته، والآخر أن يقطع اللحم دون أن يريق قطره دم واحده.

وهنا يتراجع شيلوك عن تمسكه بشرط الدين ويحاول الحصول على رأس المال فقط، ووصل الامر به إلي أن تنازل عن هذا المال في سبيل الخلاص من هذه الورطة، والذهاب إلى منزله، ولكن المحكمة تقضي بمعاقبته بتجريده من كل أملاكه وتحويلها الى زوج ابنته لورنزو بعد وفاته بموجب عقد وقع عليه شيلوك، كما حكمت عليه في أن يعتنق المسيحية عقابا له على عطشه للدم والتآمر على إزهاق روح مسيحي من سكان البندقية، وفي نهاية المسرحية تعود سفن أنطونيو من البحر سالمة غانمة وكل ما قيل عنها سابقا كان مجرد إشاعات، وأصبحت ابنة شيلوك وزوجها من الأثرياء، ويعلم الاصدقاء الثلاثة أنطونيو وبسانيو وجراسانيو أن المحامي الذي دافع عن أنطونيو

وأنقذه لم يكن رجلاً كما ظهر في المحكمة، وإنما كان سيدة؛ وهى السيدة بورشيا زوجة بسانيو، وهنا يفرح الجميع لانفراج الأزمة [١].

آخرًا: عرض مسرحية "شيلوك الجديد" لبا كثير

يعرض باكثير في مسرحيته (شيلوك الجديد) للقضية الفلسطينية من جذورها، منذ مساعي العدو الخبيثة لامتلاك الأراضي والاحتيال لاغتصابها بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى والابتزاز تارات أخرى وغير ذلك من الأساليب المشبوهة، وقد اختار الكاتب اسم (شيلوك الجديد) لهذه المسرحية في إزاحة تستدعى تصورا فكريا وعقليا واقتصاديا ودينيا لشيلوك اليهودي المرابي الذي كان بطلاً لمسرحية تاجر البندقية لوليم شكسبير.

وقد قسم باكثير المسرحية إلى جزءين الجزء الأول: بعنوان (المشكلة)، والجزء الثاني بعنوان (الحل)، وفي الجزء الأول نرى الكاتب يقيم صراعاً بين الشاب عبد الله الفياض، وهو شاب من عرب فلسطين في الرابعة والعشرين من عمره، تخرج من كليه الحقوق بمصر، وعمه كاظم بك الفياض، وهو مجاهد وطني من سراة فلسطين طبيب ومحسن كبير كما يصفه باكثير، ويكشف هذا الصراع عن اختلاف وجهات النظر في حل مشكلة الامتداد والاحتيال الصهيوني لامتلاك الأراضي، فالشاب يرى الثورة حلاً، وما عدا ذلك استسلام وخنوع وعمه - الذي يقرض فقراء الفلاحين وغيرهم من عرب فلسطين المال الذي يحتاجون إليه بدون فائدة حتى لاتصل إليهم يد العدو بالابتزاز - يرى التعقل والسياسة حلا، ولكنها سياسة العاقل الصامد الذي لا يتوانى عن هدفه، وفي نهاية الفصل الأول يشعر كاظم بك وصديقه ميخائيل أن الأمر قد يستلزم بعضا من القوة التي تخلصهم من تمدد نفوذ العدو في أراضيهم.

"ميخايل: يظهر أن ابن أخيك على سفاهته لأحكم منا إذ قال: إن الثورة هي العلاج الوحيد" [١].

(١) هذا العرض من خلال قراءة مسرحية (تاجر البندقية) لوليم شكسبير.

ورغم فهم عبد الله للأغراض الدنيئة التي يسعى العدو من خلالها للاستيلاء على الأراضي الفلسطينية، إلا أنه يقع فريسة لمؤامرة من مؤامرات العدو، حين سيقت إليه فتاة يهودية تدعى راشيل؛ لتكون السبيل لاغتصاب أرضه، وتسير الأحداث في صعود تدريجي، ويلجأ عبد الله إلى القضاء ليرفع وصاية عمه عنه، ويترافع عنه كوهين وهو أحد المحاميين اليهود الذي يهمه أن يكسب عبد الله القضية؛ لأن فيها كسبا للصهيونية، ويتم رفع الوصاية عن عبد الله إلا أن عمه يصر على الحجر على أملاكه لسفاهته، وهنا يستغل اليهود هذه الفرصة لإقناع عبد الله بأن يبيع أرضه لهم ليفوت الفرصة على عمه، وبعد ذلك تنحدر الأحداث نحو الهبوط التدريجي، إذ يفقد عبد الله أرضه ويصحو من غفوته، ويرجع نادما الى عمه، ويطلب منه العفو والصفح عما بدر منه في حقه، ويقرر التكفير عن فعلته هذه بالذهاب الى صفوف المقاتلين.

ويعمق باكثير الصراع فيجعله بين العرب واليهود، وهو صراع لا يكتفى بأساليب الاحتيال والأساليب الدنيئة، وإنما قد يكون بطريق البيع وشراء الأراضي من أصحاب القوة والجاه على وجه الخصوص في فلسطين؛ حتى يخضع صغار الملاك لهم ويشترون منهم أراضيهم غصبا، أو يبتزونهم، أو يضيقون عليهم بأساليبهم الملتوية، أو حتى استخدام الارهاب لمن يرفض أن يبيع أرضه، فنجد شيلوك يطلب من رئيس الجمعيات الإرهابية ألا تقتصر عمليات القتل على القيادات السياسية في فلسطين، بل تتعداها إلى بعض الدول العربية، خاصة مصر، ولا يتم التفريق في حركه الاغتيالات بين عربي وبريطاني، فالقتل في سبيل المصلحة اليهودية والصهيونية مباح، وينتهى الجزء الأول من مسرحية باكثير بعد أن عرض جوانب المشكلة، وملامح الصراع حول القضية، بصورة تنبع من الأحداث والواقع الذي عانته فلسطين.

وفي الجزء الثاني من المسرحية الذي جاء بعنوان: (الحل) نجد خط الصراع بين العرب واليهود مازال مستمرا، ومكانه في محكمة القدس وزمانه في المستقبل، ويدور

(١) شيلوك الجديد - باكثير ص ٤٠ طبعة مكتبة مصر دار مصر للطباعة

الجزء الثاني حول اقتراح الحل، في أن يستقل اليهود بوطن لهم، ويستقل العرب بوطن لهم، ولا يتدخل أي فصيل في وطن الآخر، ولكن هذا سيؤدى إلى خلق حاجز بشرى بين الدولتين، يكون هذا الحاجز قوة مضادة لأهل المنطقة، وباكثير يرى أن اليهود لن تستطيع البقاء على مواردها وستطلب من عرب فلسطين أن تعفو عنهم، وتعود فلسطين عربية كما كانت.

وفي نهاية المطاف، يعرض شيلوك التنازل عن رطل اللحم الذي هو فلسطين، ويوازى رطل اللحم في تاجر البندقية، على أن يعيش اليهود كما كانوا من قبل، ولكن يُرفض طلبه هذا، ولا يسمح لهم إلا بالحج وأداء المناسك فقط، كما رُفض طلب شيلوك في تاجر البندقية من قبل باسترداد الدين.

وقد كشف لنا الكاتب عن أمنية الصهاينة، فهم يريدون أن يجعلوا العالم العربي مجالا لنشاطهم يقول على لسان إبراهام:

"أقترح على المجلس الموقر أن يصدر قرارا رسميا بحل الصهيونية واعتبارها حركة إجرامية في العالم كله" [١].

وكانت هذه الرؤية من باكثير قبل قيام الدولة الإسرائيلية بثلاث سنوات أي عام ١٩٤٥م[٢].

(١) السابق ص ٢٥٦

(٢) هذا العرض من خلال قراءة مسرحية (شيلوك الجديد) لباكثير.

المبحث الثاني

أبعاد شخصية شيلوك بين شكسبير وباكثير.

الفعل بَعَد في اللغة كما قال ابن منظور يعنى: (خلاف القرب... ويقال للشيء المتناهي في نوعه قد أبعد فيه)[١].

والمصدر البُعْد قد يعنى البحث عن الشيء في أعماقه، أو محاولة الوصول إلى منتهاه، وهذا هو المعنى المراد من كلمة أبعاد الشخصية المسرحية؛ حيث إن الكاتب يحاول أن يتعمق في زواياها النفسية والجسدية ويوضح حدودها وكأنها مكان نسعى لتحديد أبعد جزء فيه حتى نصل إلى منتهاها.

وكلمة بُعْد في اللغة المعاصرة اكتسبت معنى العمق من دلالتها اللغوية التي هي خلاف القرب، فيقال لفلان بُعد ثاقب أي رأى سديد قد لا يصل إليه أصحاب الأحكام السطحية، وهذا جعل الكلمة في تصورنا مقترنة بالأغوار والأعماق وهذا يتطابق مع طبيعة مكنونات الشخصية وما ينبغى أن تكون عليه من أبعاد وزوايا متنوعة تتسم بها.

وأبعاد الشخصية المسرحية متنوعة ومختلفة يختار منها الكاتب المسرحي للشخصية ما يناسب فكرته وينسجم مع رؤيته العامة للمسرحية وهذه الأبعاد هي:

أولا: البعد الجسماني.

ثانيًا: البعد الإنساني.

ثالثًا: البعد الاقتصادي.

رابعًا: البعد السياسي.

خامسًا: البعد الأخلاقي.

سادسًا: البعد الديني والثقافي.

---

(١) لسان العرب ابن منظور مادة (بَعُدَ) طبعة دار المعارف.

سابعًا: البعد الاجتماعي.

ثامنًا: البعد النفسي.

إلا أنه ليس من الضروري أن تحتشد هذه الأبعاد في الشخصية فالبعد السياسي والاقتصادي مثلا لا يتضحان إلا في المسرحيات التي تميل فكرتها لهذا المضمون وترتبط به ارتباطا مباشرًا، لكن الأبعاد (الجسماني – النفسي – الاجتماعي) لابد أن تكون في الشخصية المسرحية وإهمال بعد منها يجعل الشخصية أميل إلى الغموض أو أن تبدو بصورة ضبابية في تصور القارئ والمشاهد.

وسوف نوضح أبعاد شخصية شيلوك في المسرحيتين وذلك من خلال دراسة مسرحيتي شكسبير وعلى أحمد باكثير.

أولاً: البعد الجسماني:

هذا البعد خاص بمظهر الشخصية، وشكلها، ووزنها، وطولها وعرضها، ولون بشرتها، وأمراض وعيوب خلقية تعاني منها.

وهذا البعد غير متحقق في مسرحية شكسبير، ولم يهتم به في مسرحيته "تاجر البندقية " وهذا يدعونا لأن نتساءل: لماذا لم يهتم شكسبير بهذا البعد في مسرحيته؟ وللإجابة عن ذلك نقول: إن شكسبير بالفعل لم يهتم بالتصوير الجسماني لشخصياته، ولعل السبب في ذلك حرصه الشديد على كشف الشخصية من الداخل.

بينما اهتم به باكثير اهتمامًا بالغًا في مسرحيته "شيلوك الجديد" وظهر عنده بوضوح.

والهدف من وصف الأبعاد للشخصية المسرحية، هو تشكيل لوحة جميلة، أو رسم لوحة جميلة، بصرف النظر عن احتياج الرواية لهذه الأبعاد[1]، وقد اتضح ذلك

(١) ينظر: الشخصية في قصص عبد الحميد جودة السحار د عبدالناصر محمد السعيد مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة العدد الثاني والعشرون ١٤٢١هـ٢٠٠٢م الجزء الأول ص ٢٣٠

في الكثير من لوحه التي رسمها لشخصياته، فعلي سبيل المثال نلمح عنايته في رسم البعد الجسماني المتعلق بالعمر وما يستتبعه من أثر في رسم أثر الزمن على الجسد، فنراه يحدد عمر الشخصية في بداية التعريف بها فيقول:

"شيلوك رجل في نحو الستين من عمره" (١).

وهو أيضا مولع بتحديد الشكل الخارجي والملامح وتفاصيل الوجه فيقول: "قصير القامة، كبير الرأس، وقد أكل الصلع وسطه من مقدمه إلى مؤخره، فتركه أملس لامعًا، وأبقى قزعتين من الشعر الأبيض على حاجبيه، وله عينان كبيرتان، يسطع منهما بريق عجيب كبريق البومة، يظلهما حاجبان كثيفان قد تهدلا قليلاً، وفوقهما جبهة ضيقة كلها تجاعيد، وقد غارت وجنتاه فنتأ عنهما أنف دقيق الأرنبة منبعج المنخرين، وهو دقيق الفم، رقيق الشفتين" (٢).

ويلاحظ أنه بجمعه هذه الصفات يحاول أن يرسم صورة لليهودي المرابى كما تخيلها العقل العربي، وهى الصورة التي اتسم بها المرابون حقيقة، وهى صورة يكاد يتفق عليها التصور البشرى تجاه هذه الشريحة البشرية، وهو بجمعه هذه الصفات الجسمانية يحاول أن يرسم لنا معانى الشر والخدعة والمكر والدهاء والخبث من خلال صفات جسدية، ويتضح هذا من خلال وصفه بالبومة.

وهو أيضاً مولع كذلك بملامح الشخصية الحركية التي تكشف عن مكرها ودهائها: "لا ينفك عن تحريك شدقيه في حركة دائرية، كأنه يمضغ شيئًا" (٣) "يمسح صلعته بكفه" (٤) وفي موطن آخر: و "يجبل أصابعه في لحيته" (٥).

---

(١) شيلوك الجديد ص٤٥.

(٢) السابق ص٤٥، ٤٦.

(٣) السابق ص٤٥.

(٤) السابق ذاته والصفحة ذاتها.

(٥) السابق ذاته والصفحة ذاتها.

لقد حرص باكثير على تشكيل هذه الصورة الجسمانية لشخصية شيلوك بخيوطها الدقيقة وتحديد عمر الشخصية وملامحها الجزئية، وما الفائدة من تحديد لون الشعر إلا إذا كان يحرص على ألوان الصورة ودقائقها؟: "وأبقى قزعتين من الشعر الأبيض على حاجبيه" (١) و "له لحية بيضاء كثيفة الشعر" (٢) وما الفائدة كذلك من وصفه وتشبيهه لبريق عيني شيلوك ببريق عين البومة، ووصف بقية الأجزاء بأوصاف معينة إلا إذا كان يحرص كذلك على إظهار طابع الشر الكامن داخل شيلوك والظاهر على ملامح وجهه وعينيه.

والغالب على باكثير أنه معني بإظهار البعد الجسماني للشخصية – دائمًا – في بداية حديثه عنها سواء عند حديثه عن شيلوك أم عند حديثه عن غيره من شخصيات المسرحية.

ثانياً: البعد الإنساني:

لقد تعاطف شكسبير كثيرًا مع شيلوك، حيث أضفى على رؤيته أبعادًا إنسانية "وحاول أن يكشف ولو للمحة خاطفة عن عواطف شيلوك الإنسان أمام جمهور واضح العداء له، كما جعل رغبته في الانتقام سلوكًا مقبولا لو لم يبالغ فيه إلى درجة الإجرام" (٣).

وهذا راجع إلى طبيعة الحياة التي كان يعيشها اليهود في أوربا في القرن السادس عشر فكانوا يعانون من الطبقية والازدراء ونرى هذا واضحا في حديث شيلوك عن نفسه وموقف أنطونيو التاجر الإنجليزي الأمين في رأى شكسبير منه فيقول:

"لقد أساء إلى سمعتي، وحرمني كسب نصف مليون، وهزأ بخسائري، وسخر من أرباحي، واحتقر أُمتي، وأفسد صفقاتي، وحول عني أصدقائي، وأثار عليّ أعدائي، فما

(١) السابق ذاته والصفحة ذاتها.

(٢) السابق ص٤٦.

(٣) الشخصية الشريرة في الأدب المسرحي د/ عصام بهي ص٢٢٧.

دافعه إلى ذلك؟ أنني يهودي، أما لليهودي عينان؟ اما لليهودي يدان وأعضاء وهيئة، ومدارك وعواطف وأحاسيس؟ أليس كالمسيحي يأكل من نفس الطعام، وتؤذيه نفس الأسلحة، وتصيبه نفس الأمراض، ويعالجه نفس الدواء، ألا يسيل الدم منا إذا طعنتمونا، ونضحك إذا داعبتمونا، ونموت إذا سممتمونا؟ فإن أنتم أسأتم إلينا، أفما من حقنا أن ننتقم؟ فإن كنا مثلكم في كل ما ذكرت، فسنكون مثلكم في هذا الصدد أيضًا. إذا ما جزاء اليهودي إن هو أساء إلى مسيحي؟ الثأر وما هو بالتالي جزاء المسيحي إن هو أساء إلى يهودي؟ هو الثأر أيضًا! وستشهدون مني الغلطة التي تعلمتها منكم، بل وأشد منها إن لم يحل بيني وبينها حائل" [(١)].

وهذا الحوار الذي غلبت عليه الذاتية عبر من خلاله شيلوك عن مواجده وأحزانه وهو حوار يكشف عن طبيعة تميل للشر؛ حيث نرى كلمات القتل والموت واضحة في (الأسلحة – الأمراض – الدم - طعنتمونا – سممتمونا – الثأر – الغلظة..) فضلاً عن حرقة تذيبه لخسارته المادية بسبب أنطونيو مما يكشف عن صورة المرابى الجشع.

أما بالنسبة لباكثير فلم يذكر لنا الجانب الإنساني إلا في موضع واحد حين ذكر سبب كره شيلوك لإبراهام اليهودي فيقول:

"شيلوك: واحر قلباه من هذا اليهودي اللعين، إني لأمقته أشد مما أمقت البريطانيين والعرب.

كوهين: بعض اهتمامك يا مسيو شيلوك فهو أحقر من ذلك.

شيلوك: إنك لا تدري ماذا صنع بي اليوم حين تقابلنا..

كوهين: ماذا صنع بك؟

(١) تاجر البندقية، ص ٧٥.

شيلوك: ناداني باسمي مجردًا عن كل لقب، وقد وضع منديله في أنفه واصطنع الغنة في صوته كأنه يقلدني وحوله فرقة من أتباعه ينظرون إليَّ وعلى وجوههم بسمات السخرية " [١].

هذا البعد ظهر بصورة أقوى عند شكسبير؛ لأنه أثار فينا مشاعر التعاطف مع شيلوك، فقد أتاح له "الفرصة كي يبرر تصرفاته ويدافع عنها وهو يصور لنا آدميًا متعدد الأبعاد وليس مجرد وحش كاسر بغيض يلعنه الناس" [٢]، لنستمع إليه وهو يقول:

"سيدي أنطونيو، مرارًا وتكرارًا عيرتني ... بسبب ثروتي وما أتقاضاه من الربا، ومع ذلك فقد تحملت الإهانات في صبر، فالصبر شعار قبيلتنا بأسرها، نعتني بالكفر، وبأني كلب سفاح، وبصقت على زيّ اليهودي، ودون ما سبب غير استثماري لأموال هي ملكي... حسنا إذن والآن يبدو وكأنك في حاجة إلى مساعدتي، ودعني منك، تأتيني وتقول شايلوك، نريد مالاً، تقول لي هذا وأنت الذي بصقت لعابك على لحيتي، ورفستني رفسك للكلب الضال عند عتبة دارك، تريد مالاً، فما عساي أن أقول لك؟ أليس من واجبي أن أقول لك: وهل للكلب مال؟ أيعقل أن يكون بوسع الكلب إقراض ثلاثة آلاف دوقية؟ أم أن عليّ أن أنحني لك، وأن أهمس كالعبد الذليل، وبأنفاس متقطعة: سيدي الكريم، قد بصقت عليّ يوم الأربعاء الماضي، وركلتني في اليوم الفلاني، ونعتني بالكلب تارة أُخرى، ومن أجل كل هذا التعطف منك سأقرضك مالاً كثيرًا؟ " [٣].

وبهذا يتضح أن الفرق في البعد الإنساني في المسرحيتين واضح بسبب اختلاف طبيعة الحياة التي كتبت فيها المسرحيتين، ودور شخصية شيلوك في كل زمن باعتباره رمزا لطائفة تتسم بالضعف في زمن شكسبير وبالنفوذ والتسلط في زمن باكثير، ولكنه

---

(١) شيلوك الجديد ص ١٢١، ١٢٢.

(٢) مقدمة تاجر البندقية ترجمة حسين أحمد أمين ص ٩

(٣) تاجر البندقية ترجمة حسين أحمد أمين ص٣٧.

فرق لا ينهض بأن يجعل شيلوك شخصية صالحة في المسرحيتين فهو محتقر فيهما معا فالأول محتقر؛ لأنه مراب والثاني محتقر لأنه غاصب، لذا كانت عاطفة شكسبير تفيض احتقاراً وازدراءً بينما تفيض عاطفة باكثير كراهية وحقداً وضغينة.

ثالثاً: البعد الاقتصادي:

شيلوك شكسبير لا يمثل إلا يهود البندقية الذين تبلغ أقصى أطماعهم حد السيطرة الاقتصادية [١]، وعليه فهو رجل اقتصادي – على أضيق الحدود – كل ما كان منه أنه يبغى الغنى والثراء عن طريق إقراض الآخرين بالربا، فهو يريد لثروته أن تنمو وتزدهر من هذا الطريق، ويرى أن الثروة نعمة أيًا كان مصدرها، طالما أنها لم تكن مسروقة يقول شيلوك: "الثروة دون ريب نعمة ما لم يسرقها الناس" [٢] وثروته هي "ثروة المرابي الذي يبنى غناه وسعادته على شقاء الآخرين وتعاستهم، على عرقهم ودمائهم... ويستفيد – في الدرجة الأُولى – من كوارث الأفراد والمجتمع الذي يعيش فيه، فمشكلاتهم هي التي تلجؤهم إلى شيلوك لينقذهم أو لنقل يبتذهم ويستغلهم" [٣].

وشيلوك شخصية بخيلة تحب المال حبًا جمًا، طبعها غريب، مما جعل ابنته تشعر بالخجل من كونها ابنته، وتهرب مع عشيقها بمجوهرات أبيها الذي شعرت بالامتهان معه، تقول:

"يا لها من خطيئة فظيعة إذ اشعر بالخجل من أن أكون ابنة أبي! ومع ذلك، فرغم أني ابنته من صلبه، فلست ابنته في السلوك" [٤].

ونفس هذه الصفة الممقوتة جعلت خادمه (بسانيو) يكرهه ويولي هاربًا منه يقول:

---

(١) شيلوك الجديد (المغامرة والحتمية التاريخية) دراسة لمسرحية على أحمد باكثير د. محمد عباس عرابي مجلة رابطة الأدب الإسلامي العالمية. العدد العاشر بتاريخ ٢٠١١/١١/١مم ص ٧

(٢) تاجر البندقية ترجمة حسين أحمد أمين ص٣٦.

(٣) الشخصية الشريرة ص ٢٤٤، ٢٥٥.

(٤) تاجر البندقية ص ٥٣ ترجمة حسين أحمد أمين.

"قرَّ قراري على الهرب منه ... إني أتضور جوعًا في خدمته" [١].

"ولقد بلغت شهوة المال والحرص عند (شيلوك) حدا جعلت منه شخصًا بليد الحس، وضيع النفس، فلم يحزنه شيء حينما فرت ابنته (جيسكا) مع عاشقها المسيحي (لورنزو) أكثر من حزنه على المال الذي هربت به... كأن الشرف عنده شيء لا اعتبار له بجانب المال" [٢].

ويقول عندما علم نبأ هروبها بماله وجواهره "ليتني أرى ابنتي ميتة عند قدمي والجواهر في أُذنيها! ليتها في نعشها عند قدمي والدوقيات معها" [٣].

أما (شيلوك باكثير) فهو نمط فريد من نوعه، يمثل كل يهود العالم الصهيوني، وقد قدمه باكثير لنا في صورة جديدة، وهي صورة المحارب الاقتصادي، الذي يحارب على جبهة الاقتصاد، فهو يتدخل في كل الشئون المالية في فلسطين، ويتحكم فيها بشكل يمكّنه من السيطرة على هذا المجال، وبالتالي هي شخصية أكثر إيجابية وأكثر عمقًا وثراءً منها عند شكسبير، فقد كان (عند شكسبير) ينتظر الفرصة حتى تتاح له، بينما هو هنا (عند باكثير) يصنعها بنفسه، ويضيق الحصار على فلسطين حتى تسقط، فيسيطر عليها[٤]. إن (شيلوك باكثير) ألغى بنوك التسليف الزراعية، التي كانت تقرض المزارعين، وتساعدهم في شئونهم الزراعية، ونشر مكاتبه الربوية التي تقرض بالربا الفاحش في شتى الأماكن، حتى اجتمع على الفلاحين من العرب ربا (شيلوك) وديون أُخرى أثقلت كاهلهم، فباع كثير منهم أرضه بسبب هذه الديون، هذا من ناحية، ومن ناحية أُخرى عمل (شيلوك) على إفقاد العرب القدرة الاقتصادية على العيش في

---

(١) السابق ص ٤٨.

(٢) مقدمة تاجر البندقية، ترجمة خليل مطران. ص ١٥-١٦

(٣) تاجر البندقية ص ٧٦ الدوقية: عملة ذهبية في البندقية ومعناها الحرفي عملة الدوق، وكانت الثلاثة آلاف دوقية تعادل سبعمائة جنيه إسترليني، وهو ما كان يعتبر مبلغًا ضخمًا في ذلك الحين.

(٤) انظر: شيلوك الجديد (المغامرة والحتمية التاريخية) ص٧.

بلدهم، حيث أصدر قرارًا يمنع فيه تصدير القمح والزيت خارج البلاد، قبل موسم الحصاد بقليل، فلا يستطيع الفلاحون سداد ديونهم ويضطرون لبيع أرضهم لشيلوك. [١].

شيلوك: (مخاطبًا يعقوب حايم): أُريد منك أن تكتب تقريرًا للحكومة تُحسِّن لها فيه إصدار قانون يمنع تصدير القمح والزيت إلى الخارج هذا العام... مهم جدًا يا مسيو يعقوب ... فإذا نجحنا في حمل الحكومة على إصدار هذا القانون فسيسقط معظم هذه الأطيان في أيدينا "[٢].

كذلك يصدر شيلوك قرارًا آخر على اليهود أنفسهم، يمنعهم فيه من استخدام العمالة غير اليهودية، ويلزمهم به في فلسطين، وبهذا يتم التفريق بين العمال العرب والعمال اليهود، حتى ولو كان العمال العرب أرخص أجرًا وأكثر إنتاجًا، ومن يخالف هذا القرار يتم الاعتداء عليه من خلال العصابات الإرهابية التابعة لشيلوك، وهذا ما حدث بالفعل لإبراهام، حينما استخدم عمالًا من العرب، اعتدت عليه العصابات الإرهابية ولم يستجب أحد لشكواه، وعندما ذهب إلى شيلوك يشكو له، لفق له تهمة، قُبض عليه بسببها. [٣].

شيلوك لإبراهام: لابد أنك استخدمت في مصنعك عمالا من غير اليهود... لو لم تكن يهوديًا لكنت حرًا في استخدام مَن تشاء، أما وأنت يهودي فيجب عليك أن تخضع لقراراتنا وهي قرارات تسري على كل يهودي في العالم" [٤].

كذلك يتحكم شيلوك في العائلات العربية التي لم تقترض منه ولم تستجب لطلب التنازل عن أرضها عن طريق البيع، يبعث لها العصابات الإرهابية لقتلها، كما حدث مع الشيخ سعيد وعائلته، لما رفضوا بيع أرضهم له بعث إليهم (زيكتاخ) فقتلهم جميعًا. [١].

---

(١) ينظر الشخصية الشريرة ص ٢٣٤

(٢) شيلوك الجديد ص٥٢، ٥٣.

(٣) ينظر الشخصية الشريرة ص ٢٣٤

(٤) شيلوك الجديد ص٦٦.

كذلك تحكم (شيلوك) في التلاعب بالبورصة والنقود الصغيرة وبعض البضائع التي يسحبها من الأسواق ليبيعها بعد ذلك بأسعار عالية، كما كان يحتكر الاستيراد الخارجي، وغير ذلك من الوسائل غير المشروعة. (٢).

وعليه فإن (شيلوك) شكسبير سلبي ينتظر الفرص حتى تتاح له، فيتم له اتخاذ خطوة، ينتظر حتى يأتي إليه أنطونيو ليقترض منه وكذلك حتى يأتي إليه الآخرون، بينما شيلوك باكثير إيجابي يصنع هو الفرص لإفقار العرب وإثقال كاهلهم بكثرة الديون، حتى لا يدع أمامهم مخرجًا إلا التنازل له عن أرضهم فيتم له ما تمناه ويسيطر على فلسطين، وهذا من شأنه أن يظهر فداحة الأزمة التي تعرضت لها فلسطين فقد تعرضوا لعدوان عدو ماكر خبيث، وهذا ما يرجوه باكثير من مسرحيته أن يجعل خصمه شيلوك قويا عنيدا حتى لا يتهم أهل فلسطين بالضعف.

رابعا: البعد السياسي.

شيلوك شكسبير لم يلعب أي دور سياسي، وكل ما كان منه أنه يريد أن يحقق ربحا ماليا ويقضى على كل من يحاول أن يمنعه من تحقيق شرهه المالي فوجود أنطونيو الذي لا يتعامل بالربا ضرر كبير عليه لذا فهو يريد قتله باقتطاع رطل من لحم صدره بالقرب من قلبه، يؤدى لموته؛ لأن في موته مكسبًا له أكثر من استرداد ماله.

وهنا نطرح سؤالاً: لِمَ لَمْ يتناول شكسبير هذا البعد في مسرحيته "تاجر البندقية "؟

لعل شكسبير لم يتعرض لهذا البعد في مسرحيته لأن له هدفا محددا من المسرحية، وهو هدف اجتماعي فهو معنى بالكشف عن عيوب الشخصية المادية الأنانية الشرهة الطفيلية، الشخصية التي تبغي الغنى والثراء عن طريق استنزاف ثروات الآخرين والمجتمع الذي تعيش فيه، ومدى خطورة هذه الشخصية على المجتمع، وفي

(١) ينظر: السابق، ص٧٠ وما بعدها.

(٢) ينظر السابق ص٢٥٨.

المقابل نرى شخصية (أنطونيو) الذي يبحث عن الثروة والرخاء لنفسه ومجتمعه فيسعى لمساعدة صديقه والتضحية بنفسه ومن أجل ذلك تفهم معنى التجارة ومصداقيتها وقدرتها على بناء مدينة تجارية قوية وهى مدينة البندقية، إحدى أكبر مراكز النشاط التجاري في أوروبا في ذلك الوقت، لذا فهو يرفض التعامل الربوي لضرره لذا كان شيلوك عند شكسبير نموذجا اجتماعيا لا سياسيا.

أما شيلوك باكثير فإنه "يحارب على الجبهة السياسية " [١] وهو شخصية قادرة على تحريك الأحداث وقلب الحقائق وتبرئة المتهم، واتهام البريء، فهو يسعى لتبرئة الضابط اليهودي "زيكتاخ" الذي قتل أُسرة عربية فلسطينية بأكملها، وكان مأمور البوليس "كساب جاد" قد قبض على هذا الضابط المجرم إلا أن شيلوك سعى مع كوهين محامي اليهود وأنقذا هذا الضابط الشاب النشيط (من وجهة نظر شيلوك) إذ لا يستغنى شيلوك عن خدماته قط، وثبوت هذه التهمة سوف يُشوِّه سُمعة رجال البوليس اليهودي في البلاد، وربما يكون لذلك من الأثر ما يحرم شيلوك من الاستعانة بهم في شئونهم الصهيونية، وهنا يتم استقرار شيلوك وكوهين على فكرة إلصاق هذه التهمة بأحد الشباب الإرهابي التابع لليهود، ويتم القبض عليه من قبل أحد أفراد البوليس اليهودي، ويعترف الشاب اليهودي بالجريمة، ويتخذ شيلوك من هذا ذريعة للطعن في كساب جاد بتهمة التحامل على رجال البوليس اليهودي ومحاولة إلصاق التهم بهم، فهو بذلك لا يصح أن يترأس عليهم يقول:

شيلوك: ليس هذا فحسب، بل يجب أن يحاكم هذا المأمور اللعين على التهمة التي ألصقها بضابطنا الشاب ثم ثبتت براءته منها....

ويقول أيضا: شيلوك: أجل فلننفذ هذا الرأي الآن "[٢].

(١) شيلوك الجديد (المغامرة والحتمية التاريخية) ص٧.

(٢) شيلوك الجديد ص ٧٨، ٨٨.

وبالفعل تم لشيلوك ما أراد، فقد قدَّم كساب استقالته، وانتقل إلى صفوف المجاهدين، وقد تم الأمر نفسه مع ميخائيل جاد الذي كان رئيسًا لبلدية القدس، فقد ضايقه الصهاينة - بأمر من شيلوك – فصبر على مضايقاتهم رغبة في الاحتفاظ بهذا المركز الصوري للعرب، ولكنهم أمعنوا في وقاحتهم. (١).

ميخائيل: لكاظم: آه يا كاظم لو كنت موظفًا مثلي لشهدت بعيني رأسك كيف يتغطرس الموظفون اليهود على الموظفين العرب، كأنهم هم أصحاب البلاد، وكأن العرب، غرباء فيها والويل للموظف العربي إذا كان رئيسًا في المصلحة، ففي هذه الحالة يتوقح مرؤوسوه اليهود عليه ويربكون عمله ويدبرون الخطط لإيقاعه في زلة تقع تبعتها عليه، فإذا قاومهم واستعمل سلطته عليهم أو شكاهم فلا يلبث أن يُنقل من منصبه ويستبدل به رئيس يهودي بدعوى الرغبة في انسجام العمل" (٢).

واضطر أخيرًا إلى تقديم استقالته والالتحاق بصفوف المجاهدين.

لقد أدى شيلوك باكثير دورًا كبيرًا في الناحية السياسية، فهو يخطط ويدبر من أجل الاعتبارات السياسية في فلسطين وفي غيرها من البلاد "يجتمع مع شيلوك القائمون بأمر الدعاية والإرهاب وشراء الأراضي ومعهم المحامي الصهيوني كوهين، الذي يقوم على تنظيم الشئون القانونية للصهاينة، وبخاصة قضايا نزع الملكيات الزراعية، وقضايا من تلك التي تشبه قضية عبد الله الفياض مع عمه، التي تتيح للصهاينة في النهاية اغتصاب الأرض" (٣).

"شيلوك: يجب ألا يكون الاغتيال السياسي في فلسطين وحدها، بل في غيرها أيضًا من البلاد، يجب أن يحدث حدثًا كبيرًا في مصر....

(١) ينظر: السابق، ص٣٩.

(٢) السابق، ص٣٨.

(٣) الشخصية الشريرة ص٢٣٥.

شيلوك: لا يصلح لهذا إلا شبان مدربون تدريبًا تامًا من الذين لا يهابون الموت، بل يرونه غُنْما في سبيل الوطن القومي والدولة اليهودية " [١].

"شيلوك: لكننا لا نستغني عن سياسة الشدة والإرهاب من ناحية أُخرى، فلها أثرها الفعال... في صراعنا مع العرب في المستقبل" [٢].

ويستخلص شيلوك باكثير كذلك وعدًا من الدول الكبرى، وعدًا تحت ضغط الحاجة ويضطرها إلى تنفيذه.

"شيلوك: لن نتنازل عن وعد بلفور الذي نعده رسالة الحقوق والوثيقة التي تنطق بحق اليهود في فلسطين" [٣].

إن شيلوك باكثير لا يكف عن سياسة الإرهاب ولا عن التخطيط من أجل العمليات الإرهابية في مصر والعالم العربي، ولا يكف عن سياسة الشدة والإرهاب في صراعه مع العرب، ويرى أن ذلك هو السلاح الفعّال الذي يمكنه من تحقيق مآربه.

خامسا: البعد الأخلاقي:

شيلوك شكسبير لم يلعب على جبهة الأخلاق إلاَّ في إطار ضيق وحيز محدود، ويتمثل ذلك عنده في أنه شخصية لا أخلاق لها وليس لديها إحساس بالأبوة ولا تعنى بالشرف وتتسم ببلادة الحس ووضاعة النفس، فلم يحزنها شيء حينما فرت ابنتها مع عشيقها المسيحي أكثر من حزنها على المال الذي هربت به، كأن الشرف عندها شيء لا اعتبار له بجانب المال. "وبلغ من بلادة حسه أنه ألف أن يسمع أفحش الطعن فيه فلا

(١) شيلوك الجديد ص ١٢٧، ١٢٨.

(٢) السابق ص ١٣٢.

(٣) السابق ص ١٨٣.

يتحرك ولا يثور، ولا يبدي آية من آيات الغضب، وكثيرًا ما ندد به أنطونيو وبسانيو وأصدقاؤهم فلم يبد عليه أنه سمع من واحد منهم كلمة "[١].

أما شيلوك باكثير فإنه يحارب - كذلك - على جبهة الأخلاق، فهو يجر شباب العرب جرًا إلى الجنس والخمر والموائد الخضراء كي يخسروا المال والأرض والكرامة جميعًا هذا من ناحية، ومن ناحية أُخرى يعمل على تنشيط حركة النسل اليهودية، فاليهودي عنده من كانت أُمه يهودية، سواء كان أبوه يهوديًا أم غير يهودي[٢].

"راشيل: تستخرط في بكائها ولا تجيب.

شيلوك: هل ثم من شيء تكتمينه عني؟

راشيل: تشير برأسها أن نعم.

شيلوك: ما هو يا راشيل؟ أخبري عمك شيلوك، إنه بمنزلة ابيك.

راشيل: أشعر بأعراض.

شيلوك: ها فهمت هوني عليك يا بنتي، فهو أمر بسيط لا يستدعي كل هذه الدموع، لكن لماذا لم تتخذي الاحتياطات اللازمة يا راشيل؟

راشيل: اتخذتها يا عمي ولكن....

شيلوك: نفد السهم هه؟ أخشى أن يكون هذا العربي أعجبك يا راشيل، لا تنسي يا ابنتي وأنت تتحببين إليه أنه عدوك.

راشيل: قل لي ماذا أصنع الآن؟

شيلوك: لا تصنعي شيئًا، إن المسألة لا تزال في طور البداية، إنك تستطيعين أن تتحملي المشقة شهرًا أو شهرين.

---

(١) مقدمة تاجر البندقية، ترجمة خليل مطران.

(٢) ينظر شيلوك الجديد (المغامرة والحتمية التاريخية) ص٧.

راشيل: شهرًا أو شهرين؟

شيلوك: نعم دون أن يظهر عليك شيء حتى تتمي دورك مع عبد الله الفياض، وبعد ذلك نستطيع أن نعني بك في مستشفى حتى تضعي طفلك ثم نتولى نحن تربيته عنك.

راشيل: كلا يا عم شيلوك، لا أستطيع.

شيلوك: أما تحبين يا راشيل أن تسهمي في حركة النسل اليهودية، إن العرب يتناسلون بكثرة مزعجة، فلا بد لنا أن نباريهم إن شئنا أن تكون لنا الأكثرية " [١].

لقد وقع "ابن الأخ" عبد الله "بتأثير من شاب عربي أضاع ثروته في السابق، هو خليل الدواس فأصبح قوادًا للفاتنات الصهيونيات، اللاتي توقعن الشاب بعد الآخر في غرامهن، حتى إذا استنزفن موارده لجأ إلى (شيلوك) الذي يقرضه بالربا، ثم يسلبه أرضه التي يحتلها على الفور المهاجرون الصهاينة " [٢] والعرب – كبار السن واسعوا الخبرة - يعرفون ما يحدث ويفهمون مخططات الصهيونية لاغتصاب الأرض، لكنهم لا يستطيعون شيئًا ... لأنهم فقدوا الساعد القوي – الذي يمثله هذان الشابان العربيان خليل الدواسي وعبد الله الفياض – الذي ارتمى في الشباك التي نصبها له الصهاينة بنسائهم وخمرهم ومساعداتهم الشيطانية [٣].

وعليه فشيلوك شكسبير سلبي، اتصف بانعدام الأخلاق، ولم يتعداه ذلك إلى غيره، بينما شيلوك باكثير شخصية إيجابية مؤثرة مسيطرة، سيطرت على شباب العرب من الفلسطينيين حيث جرتهم إلى الغواية والرذيلة (الخمر والجنس)، ودفعتهم - من خلال ذلك – إلى خسارة المال والكرامة والأرض، هذا من ناحية، ومن ناحية أُخرى

(١) شيلوك الجديد ص٥٠، ٥١.

(٢) الشخصية الشريرة ص٢٣٢.

(٣) ينظر السابق ص٢٣٣.

فهو (شيلوك) "يعمل على تنشيط حركة النسل اليهودية، لأن اليهودي هو من كانت أمه يهودية، ولا يهم أن يكون أبوه يهوديًا أو غير يهودي" (١).

سادسا: البعد الديني والثقافي:

يكره كل من شيلوك وأنطونيو الآخر؛ نظرًا لاختلافهما في الديانة، فالمسيحيون يصفون شيلوك بهذه الأوصاف التي تدل على كرههم الشديد له: (الشيطان – الشرير – النذل – صاحب النفس الشريرة – الملعون – الكلب – المتعطش للدماء).

"ساليربو: أُقسم أني ما رأيت في حياتي مخلوقًا في صورة إنسان بمثل هذه الشراسة والتعطش إلى الفتك بإنسان آخر" (٢).

"الدوق: مخاطبًا أنطونيو: إني آسف من أجلك فأنت تواجه تهمة خصم له قلب من حجارة، خال من الإنسانية، مجرد من الإحساس بالشفقة عار من أدنى مسحة من الرحمة ". (٣).

"إن الإهانات التي يوجهها أنطونيو إلى شايلوك قد تكون لونًا من التطرف في الاحتجاج على تصرفاته غير الإنسانية، وقد تكون لونًا من الاضطهاد الممقوت لأقلية دينية لا نوافق أحدًا عليه لكنه يعكس في النهاية جانبًا مهمًا من رؤية شكسبير للموضوع، إن شكسبير لا يرى في شيلوك نموذجًا مجردًا، ولا يجعل منه مثالاً صارخًا للشر في إطار الرذائل الممقوتة، لكنه جعل من شيلوك يهوديًا في أقلية يهودية تعيش بين أكثرية مسيحية في ظل ظروف اقتصادية معينة، ولقد كانت الكراهية متبادلة بين الفريقين، فالمسيحيون لا يتحدثون عن شيلوك إلا وينعتونه بأبشع النعوت... أما شيلوك فإن حقده على أنطونيو يخرج هو الآخر عن إطار العداء الشخصي حين يقول

(١) شيلوك الجديد (المغامرة والحتمية التاريخية) ص٧.

(٢) تاجر البندقية ص٨٦ ترجمة حسين أحمد أمين.

(٣) السابق ص٩٩.

صريحًا: " إني لأمقته لأنه مسيحي "حيث يأخذ حقده أبعادًا دينية متبادلة بين الفريقين". (١).

إن شخصية (شيلوك شكسبير) قائمة على الصفات الممقوتة مثل: الانعزالية وغيرها، فانعزالية (شيلوك) ظاهرة في قوله لبسانيو:

شيلوك: إني لعلى استعداد لأن أشتري منكم، وأبيع لكم، وأتحدث إليكم، وأمشي معكم، إلى آخره، غير أني لست على استعداد لأن آكل معكم، أو أشرب معكم، أو أصلي معكم "(٢).

لقد استطاع شكسبير أن ينتقل بشيلوك من دائرة محدودة إلى دائرة أوسع، حريصًا على" ألا تكون الشخصية بأي حال من الأحوال مسطحة باهتة لا تثير لدى الجمهور غير مشاعر العداء والغضب والكراهية، وقد أفلح بالفعل في مسعاه... فقد كان شيلوك مضحكًا في دور الأب البخيل، وقاسيًا متوحشًا في دور المرابي، غير أنه إنسان يشعر ويتألم، ويعاني ويصبر، قوي الشخصية، معتز بدينه، فخور بقومه. "(٣).

استمع إليه يقول عن أنطونيو:

شيلوك: لقد أساء إلى سمعتي وحرمني نصف مليون، وهزأ بخسائري، وسخر من أرباحي، واحتقر أُمتي، وأفسد صفقاتي، وحول عني أصدقائي، وأثار عليّ أعدائي، فما دافعه إلى ذلك؟ أنني يهودي... أما لليهودي عينان؟ أما لليهودي يدان وأعضاء وهيئة، ومدارك وعواطف وأحاسيس... إلخ" (٤).

---

(١) الشخصية الشريرة ص٢٢٧.

(٢) تاجر البندقية ص٣٤ ترجمة حسين أحمد أمين.

(٣) السابق، ص١٠، ١١.

(٤) السابق ص٧٥.

واستطاع باكثير هو الآخر إظهار البعد الديني لدى شخصية شيلوك، فهي شخصية ماكرة، كاذبة، خادعة، تتظاهر بالضعف وقلة الحيلة من خلال الإسقاط التاريخي والديني.

شيلوك: ... لقد صدق القائل: ويل للمغلوب من الغالب! نحن اليوم مغلوبون، فعلينا أن نتحمل كل ما يرمينا به المندوب العربي من كلمات الطعن والإهانة؛ لأننا أصبحنا اليوم وليس لنا دولة تحمينا، بل ليس لنا وطن نستقر فيه، فقد رجعنا إلى تشردنا القديم، فلنتحمل كل ما ينهال علينا من سباط العذاب والاضطهاد، ولقد شاءت الأقدار الظالمة أن لا يكون لنا وطن ولا دولة كأنما لا يصلح هذا العالم إلا إذا بقينا في التيه، لا أربعين سنة كما كتب موسى، ولكن إلى الأبد، فلنصبر على ظلم الأقدار كما صبرنا على ظلم الناس [١].

"شيلوك: " ينهض صائحًا "أتريدون أن تخرجونا من ديننا ايضًا؟ اسخري بنا ما شئت أيتها الأقدار.

عربي باشا: اطمئن على دينك يا مسيو شيلوك، فلن يخرجك منه أحد. يلتفت لميخائيل أنسيت يا أُستاذ ميخائيل أن تعاليمنا الدينية وتقاليدنا العربية لا تسمح لنا بهذا الإكراه في الدين؟ وقد كان تاريخنا الطويل مثالاً للتسامح الديني النبيل" [٢].

ومن خلال هذه النظرة نستطيع أن نقول: إن البعد الديني عند شكسبير أقوى منه عند باكثير؛ لأن شكسبير بنى شخصية شيلوك على السمات الممقوتة، مثل: الكبرياء والشح المفرط الذي يقود إلى الجشع البغيض، والضعف والذلة.

(١) ينظر: شيلوك الجديد ص٢٤٤، ٢٤٥.

(٢) السابق ص٢٥٣.

وفي شيلوك صفة المكر والخبث والخداع والاحتيال وهي نفس صفات الشخصية المعادية للمجتمع وقد بدا ذلك جليًا في محاورة بينه وبين أنطونيو وبسانيو حينما جاءاه لطلب القرض منه وبدا جليًا كذلك في محاورة أخرى بينه وبين سالانيو وسالارينو حينما فات أجل الدين وحق تنفيذ الشرط القاضي على أنطونيو باقتطاع رطل من لحم جسده(١).

أما بالنسبة للبعد الثقافي، فإن شكسبير لم يتعرض له إلا في موضع واحد أثناء اقتراض أنطونيو من شيلوك، حيث أخذ شيلوك يبرر لنفسه أخذ الفائدة على القرض، وجعل الربا مشروعه من وجهة نظره، وأخذ يدلل على ذلك بما يراه دليلاً، ونستمع إليه وهو يقول لأنطونيو الذي لا يتعامل بالربا قط:

شيلوك: حين كان يعقوب يرعى غنم خاله لابان، وكان يعقوب هذا – بفضل تدخل أمه الحكيمة – قد أضحى الوريث الثالث لسيدنا إبراهيم، أجل، الثالث.

أنطونيو: ماذا عن يعقوب؟ هل كان يتقاضى فائدة؟

شايلوك: لا لم يكن يتقاضى فائدة، أعني أنه لم يكن يتقاضاها بصورة مباشرة ... اسمع ما صنعه يعقوب ... حين اتفق هو ولابان على ان يكون أجر يعقوب كل ما يولد من خراف رقطاء وبلقاء، ثم حلت نهاية الخريف وحميت شهوة النعاج إلى الكباش، وبدأت عملية التزاوج بين هذه الخراف ذات الصوف الغزير، أخذ الراعي الأريب يعقوب قضبانًا خضرًا فقشر فيها خطوطًا بيضاء، وعرضها أثناء عملية التزاوج أمام أعين النعاج القوية فتوحمت عليها، وتمخضت وقت الولادة عن حملان متعددة الألوان دخلت في ملك يعقوب كذا كان سبيله إلى تنمية ثروته، وهو الرجل المبارك، فالثروة دون ريب نعمة، مالم يسرقها الناس.

(١) ينظر تاجر البندقية ترجمة: حسين احمد أمين، ص ٣٧، ٣٨، ٨٨.

أنطونيو: (لبسانيو جانبًا) لاحظ يا بسانيو كيف بوسع الشيطان أن يستشهد بالكتاب المقدس لدعم أغراضه، وما الروح الشريرة التي تلوح باستشهادات دينية إلا كالوغد ذي الابتسامة على خديه، أو كالتفاحة العفنة ذات المظهر الجميل... ألا ما أجمل المظهر الخارجي للزور والكذب! "[١].

أما بالنسبة لشيلوك باكثير فإنه" يحارب على جبهة اللغة، فيفرض اللغة العبرية في بلدية القدس، لغة حديث ومناقشة، وفرض اللغة يعني فرض الثقافة وفرض الإنسان صاحب هذه اللغة وتلك الثقافة "[٢].

وهذه هي راشيل الفتاة اليهودية الجميلة التي تُوقع عبد الله الفياض الشاب الفلسطيني في حبائلها، تعلمه اللغة العبرية – بأمر من شيلوك – عن طريق الدروس الخصوصية التي تمليها عليه.

" راشيل: هل حفظت قائمة الكلمات التي كتبتها لك أمس؟

عبد الله: يؤسفني يا أُستاذتي أني لم أحفظ غير كلمة (شالوم) "[٣].

كذلك تم فرض هذه اللغة على مجلس بلدية القدس الذي يترأسه ميخائيل جاد، بالرغم من أن الأعضاء الصهاينة يعرفون اللغة العربية، الأمر الذي اقتضى تعيين مترجم يتقاضى مرتبًا ويعطل العمل وهذه اللغة العبرية التي يصبرون عليها" يجهلها رئيس البلدية، كما يجهلها الأعضاء العرب "[٤].

---

(١) تاجر البندقية ص٣٥، ٣٦. ترجمة حسين أحمد أمين. وقد وردت قصة خراف يعقوب ولابان في سفر التكوين (الاصحاح ٣٠) وكان الاعتقاد هو أن الوليد يأتي شبهًا بما تقع عليه عينا أُمه أثناء عملية التزاوج وكان الاعتراض الشائع على الربا هو أنه يحقق الكسب دون جهد مقابل. (تاجر البندقية ص٣٥، ٣٦).

(٢) شيلوك الجديد (المغامرة والحتمية التاريخية) ص٧.

(٣) شيلوك الجديد ص٣٩.

(٤) السابق ذاته والصفحة ذاتها.

واحتج رئيس البلدية والأعضاء العرب على فرض اللغة العبرية ولكن تم رفض الاحتجاج بدعوى" أن اللغة العبرية قد اعترف بها لغة رسمية ثالثة للبلاد "[١].

ويؤكد على هذه القضية كوهين – محامي اليهود – قائلا: " إننا لا نريد الوطن القومي إلا لنحافظ على اللغة العبرية التي بذلنا في إحيائها جهود العمر "[٢] ويقول في موطن آخر: " أئذا عدلنا عن الوطن القومي، فهل تسمحون للراجعين منا إلى الأقطار العربية بدراسة هذه اللغة وتعليمها لأولادهم "[٣].

وبعد هذه النظرة تتجلى لنا قوة البعد الثقافي عند باكثير عنه عند شكسبير لأن شيلوك باكثير كان أكثر إيجابية من شيلوك شكسبير، حيث فرض بنفسه اللغة العبرية والثقافة العبرية ولم ينتظر حتى تتحقق هذه الفرصة من تلقاء نفسها، وبالتالي فرض سيطرته على فلسطين العربية، وتحقق له ما تمناه، وكذلك كان البعد الثقافي عند باكثير أقوى منه عند شكسبير؛ لأنه كان عند باكثير على نطاق أوسع، فقد شمل اللغة والثقافة والأفراد والمجتمع، ومن ثم حارب شيلوك باكثير على جبهة اللغة، ففرض اللغة العبرية في مدينة القدس، وجعلها لغة عامة للجميع، لغة حديث ومناقشة، وفرض اللغة العبرية يعني فرض الثقافة العبرية، وفرض الإنسان صاحب هذه اللغة وتلك الثقافة.

سابعا: البعد الاجتماعي:

ظهر هذا البعد عند شكسبير في انتماء شخصية شيلوك إلى طبقة اجتماعية وهي طبقة اليهود الثرية، ويتمثل ذلك في صديقة اليهودي طوبال والحياة الأُسرية ونوع العمل ولياقته لطبيعة الشخصية، فشيلوك يعيش مع ابنته (جيسكا) ومع خادمه (لانسلوت) إلا أن ابنته تكرهه لطباعه السيئة ولبخله مع أنه غني يمتلك ثروة كبيرة من خلال

(١) السابق ذاته والصفحة ذاتها.

(٢) السابق ص٢٥٥.

(٣) السابق ذاته والصفحة ذاتها.

التعامل بالربا مع الآخرين، فهو يقرض الناس بالربا وهذا هو عمله المناسب لطبيعة شخصيته يقول شيلوك عن عمله هذا وعن ثروته التي تنمو عن طريق الربا: " لا أدري ... غير أني أجعلها تتوالد وتتكاثر بنفس السرعة "[١] أي بنفس السرعة التي كانت تتكاثر بها خراف ونعاج يعقوب عليه السلام حينما كان يرعاها.

وتتبرأ جيسكا من طباع أبيها وسلوكه السلبي: " يا لها من خطيئة فظيعة إذ أشعر بالخجل من أن أكون ابنة أبي! ومع ذلك فرغم أني ابنته من صلبه، فلست ابنته في السلوك "[٢] وهذا ما جعلها تفر هاربة من بيته بمجوهراته مع عشيقها[٣].

وبالطبع يفر خادمه كذلك هاربًا منه لبخله الشديد يقول خادمه مخاطبًا والده: " إن سيدي يهودي قح، وتريد إعطاءه هدية؟ أعطه حبلا يشنق به نفسه؛ إني أتضور جوعًا في خدمته "[٤] ويصف هذا الخادم بسانيو مقارنًا بينه وبين سيده شيلوك" غير أني سعيد بحضورك يا أبي... قدم هديتك نيابة عني إلى سيد يدعى بسانيو؛ إنه يوزع على خدمه ملابس جديدة جميلة، فإن لم ألتحق بخدمته فسأهرب من هنا "[٥].

وكذلك يشير باكثير إلى البعد الاجتماعي لشخصية شيلوك من خلال الأحداث، ويطلعنا على مدى أثر الشخصية ووظيفتها قبل أن يقدم الشخصية وذلك في قوله: " في مكتب شيلوك الرئيس بالقدس حجرة واسعة في الدور الأرضي مفروشة بالسجاد وتُزين جدرانها صورة زيتية لهيكل سليمان في الوسط وتحفها صورة أُخرى... وللحجرة بابان أحدهما يؤدي إلى الخارج ويقع في الطرف الشمالي الشرقي والآخر يؤدي إلى حجرة أُخرى ويقع على يمين المسرح، وعلى يسار المسرح يقع المكتب وإلى جانبه دولابان كبيران،

---

(١) السابق، ص٥٣.

(٢) تاجر البندقية ص ٥٣.

(٣) ينظر السابق ص٦٠.

(٤) السابق ص٤٨

(٥) السابق ذاته والصفحة ذاتها.

ولكنهما غير بارزين كأنهما داخلان في الجدار، وقد صفت عن يمين المكتب وشماله وأمامه بضعة كراسي يظهر شيلوك جالسًا على مكتبه وإلى يساره راشيل "[١] أرأيت كيف يطلعنا باكثير على الوصف المكاني الدقيق لمكتب شيلوك الذي يمارس من خلاله المهام الموكولة إليه، من قبل أن يصف الشخصية نفسها؟ وقد كشف لنا بهذا الوصف الدقيق عن مكانة شيلوك وعمله.

" شيلوك: يفتح أحد أدراج مكتبة ويخرج حقًا به سوار من الذهب مرصع بالألماس ويفتح الحق ويقدمه لراشيل، هل يعجبك هذا السوار يا راشيل؟ "[٢].

وفي موضع آخر: " يعود إلى مقعده ويقلب أوراقًا في يده ثم يأخذ سماعة التليفون ويدير الرقم آلو... مسيو يعقوب حايم، أنا شيلوك، هل عندك أحد؟ "[٣].

وفي موضع آخر: يتناول سماعة التليفون ويدر الرقم بسرعة آلو.. مسيو كوهين إسحاق... قد حضر الرجل فاحضر بعد نصف ساعة ... شكرًا" [٤].

هكذا يخطط شيلوك ويدير أعماله من مكتبه الفخم ويجتمع هو ومساعدوه فيه، في أوقات متأخرة من الليل ليديروا أمورًا هامة في غاية السرية، ففي بداية الفصل الرابع: يجتمع هو ومساعدوه في مكتبه.

"غير أن النوافذ قد أُرخيت عليها الستائر الوقت: الساعة العاشرة ليلاً، ويظهر شيلوك جالسًا على مكتبه وقد جلس عن يمينه كوهين المحامي وبنيامين رئيس الدعاية وعن يساره جوزيف رئيس الجمعيات الإرهابية وجاك رئيس لجنة شراء الأراضي" [٥].

---

(١) شيلوك الجديد ص٤٥.

(٢) السابق ص٤٨.

(٣) السابق ص٥٢.

(٤) السابق ص٥٣.

(٥) السابق ص١٢١.

إن عمل شيلوك هذا لائق به وبطبيعته في الأصل، كيف لا وقد أجاد باكثير في اختيار أسماء شخصياته، حيث اختارها بعناية فائقة ودقة بالغة، فهي تتناسب مع عملها وتتفق معه اتفاقًا كبيرًا، فمثلا نراه يختار اسم (عبد الله الفياض) للشاب الفلسطيني العربي المجاهد المدافع عن أرضه، ويختار (فوزي بك) لوطني مصري كبير، و(كاظم بك الفياض) لمجاهد وطني من سراة فلسطين و(عثمان) لسائق سيارة عبد الله الفياض و(رجب) لسائق سيارة كاظم بك، ويختار اسم (شيلوك) للعجوز اليهودي (مدير النشاط الصهيوني في فلسطين) واسم (كوهين) للمحامي اليهودي وهكذا.

وشيلوك بطبيعة الحال ينتمي إلى طبقة اجتماعية معينة وهي الطبقة اليهودية التي تنتمي إليها بقية الشخصيات التالية: (كوهين وإبراهام وزيكتاخ وجاك وبنيامين وجوزيف وراشيل).

وهؤلاء جميعًا يعملون على خط واحد، ويمثلون "الوجه القبيح للمحتل ومعهم من العرب خليل الدواس، الشاب الفاسد الذي أضاع ماله وأرضه، ثم عمل قوادا للصهاينة " [١].

وفي مقابل هذه الطبقة الاجتماعية طبقة أُخرى تتمثل في: (كاظم بك وابن أخيه عبد الله وميخائيل جاد وكساب جاد) وهم جميعًا يمثلون الثورة الوطنية في فلسطين. [٢].

ثامناً: البعد النفسي:

البعد النفسي هو الدافع الذي يحرك الشخصية، ويجعلها تتعامل مع الآخرين من خلال النوازع الداخلية لديها، فشيلوك يكره أنطونيو وأحيانًا يذكر أن سبب ذلك نزوة فيه ويرجع ذلك إلى ميوله الفطرية التي تحركه وتتحكم في عواطفه، فتحدد له ما يجب

(١) الشخصية الشريرة ص٢٣٧.

(٢) السابق ذاته والصفحة ذاتها.

وما يكره، ولذا يذكر أن سبب ذلك بُغض دفين يحمله في نفسه لأنطونيو ويدفعه إلى المضي في قضية ضده.

إذن هذه الكراهية شيء ذاتي متأصل في شخصية شيلوك، فهي شخصية كارهة للآخرين، حاقدة، غريبة الأطوار، والناتج الخارجي لهذا، هو التصرفات الغريبة، والحالة غير الطبيعية التي تعيشها هذه الشخصية، كما أنها تعاني من حالة التردد، والانتقال من النقيض إلى النقيض على الفور، فشيلوك شكسبير حالة عجيبة وهو "المطماع المرابي الحريص إلى التقتير، الذي لا تسخو نفسه" بالدوقي "ينفقه في اقتناء الدواء إذا مرض وأوشكت العلة أن تقضي عليه، قد تأصل بغض النصرانية من نفسه حتى إنك لتراه على النقيض في آن: يثور به الحرص فيبكي وأي بكاء، على أعلاق سرقتها ابنته وفرت بها مع شاب مسيحي، ثم يشب به عامل الحقد الديني فيتغلب فيه على ذاك العامل ويحركه إلى التخلي عن ثلاثة آلاف دوقي ذهبًا، بل عن ستة آلاف، بل عن اثنى عشر ألفًا تعرض عليه فداء، فيأباها كأنها اقل من درهم لينتقم من أنطونيو النصراني" [١].

وأحيانًا يذكر شيلوك أن سبب كرهه هذا هو إقراض أنطونيو المال للآخرين دون أن يأخذ منهم فائدة أو ربا وأحيانًا يذكر أن سبب ذلك أن أنطونيو مسيحي، وعليه فالفضائل المسيحية لا تعجبه ولا تتفق مع هواه لذلك "لما كان الجشع والحرص هما هوى نفسه التي تحكم فيه فإن الفضائل المسيحية التي لا تتفق مع ذلك بدت في عينيه من أكبر الذنوب" [٢].

وأحيانًا أُخرى يذكر أن سبب ذلك هو الإهانات المستمرة التي يكيلها أنطونيو له كلما رآه، لذا كانت ردة فعله شيئًا طبيعيًا، وكان لابد أن تنتج عنها تلك الكراهية وهذا الحقد لهذه الشخصية الساخرة منه المستهزئة به.

---

(١) مقدمة تاجر البندقية ترجمة خليل مطران. ٢٦

(٢) السابق ص١٥.

وشخصية شيلوك شخصية انتهازية تنتظر الفرصة حتى توقع أنطونيو، وحين توقعه تأخذه أخذًا أليمًا شديدًا لا رحمة فيه، ويرجع ذلك إلى نفسه الشريرة الشحيحة الحاقدة على الإنسانية.

وعلى النقيض من ذلك نجد شخصية أنطونيو وهي إصلاحية محبة للمجتمع خيِّرة تجاه الآخرين، فالبعد النفسي الداخلي الذي يحركها هو محبة الآخرين الذين يقرضهم دون ربا لينقذهم من جشع شيلوك، ولئلا يقعوا في مخالب ذلك المرابي الجشع.

فشكسبير كان متعاطفًا مع شيلوك إلى حد كبير، بينما باكثير لم يكن كذلك، وقد أخذ الدكتور / عمر الدسوقي هذا المأخذ كذلك على شكسبير ورأى أنه "أثار كبيرًا من العطف على (شيلوك) تاجر البندقية " [١].

والبعد النفسي أقوى عند باكثير؛ لأن شكسبير كان متعاطفًا مع شيلوك، ولم يكن باكثير كذلك، وكثيرًا ما كان يبصرنا (باكثير) بمعرفة الأسباب التي جعلت شخصية شيلوك شريرة وحاقدة ومعادية للمجتمع، بل وكثيرًا ما وضع أمامنا التصور الحركي والصوتي لهذا النوع من الشخصيات.

إنه باح لنا بالأسباب التي جعلت هذه الشخصية شريرة ومحبة للانتقام وكارهة للمجتمع وللإنسانية، وتتمثل تلك الأسباب في خضوع القيم الأخلاقية عنده للمادة ولما هو أحط من المادة ويتمثل ذلك في الانتقام الدنيء من البشر.

وعلاوة على ذلك فإنه يصور لنا تلك الشخصية المريضة – التي تعاني من خلل كبير في الشخصية وهي غير سوية وغير متزنة – بدقة وعناية فائقة، حيث وضع لها تصورًا حركيًا وصوتيًا تمثل في أكثر من اثنين وستين موضعًا كرد فعل للحالة النفسية التي يعيشها شيلوك موزعة على حالات الخوف والقلق والاضطراب والفرح والحزن

(١) المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها د/ عمر الدسوقي ص٣٤٩ طبع دار الفكر العربي.

والغضب والاحتجاج والضعف والانهيار والمكر والدهاء والسخرية والكراهية، فمثلاً حالة الخوف والقلق تظهر على شيلوك من خلال التعبيرات التالية:

"شيلوك: يلتفت يمنة ويسرة "... [١].

"شيلوك: يبلع ريقه... " [٢].

"شيلوك: بصوت أجش"... [٣].

"شيلوك: يجمع أوراقه مسرعًا ويودعها في درج المكتب... وينهض محاولا كتم اضطرابه".... [٤].

ففي المثال الأول يجيب شيلوك على صديقه كوهين حينما ساله عن الضابط (زيكتاخ) الذي قتل أسرة عربية رفضت بيع أرضها لشيلوك.

كوهين: هل رجع في هذا التدبير إلى رأيك يا مسيو شيلوك؟

شيلوك: يلتفت يمنة ويسرة بالطبع يا مسيو كوهين[٥].

وفي المثال الثاني إجابة من شيلوك عن سؤال رئيس المحكمة بعدما أعلمه شيلوك باستقرار الرأي على استعادة الحق المسلوب (فلسطين) بأي ثمن.

الرئيس: إذا فهذا قراركم الأخير؟

شيلوك: "يبلع ريقه، نعم" [٦].

---

(١) شيلوك الجديد ص٨٦.

(٢) السابق ص٢٣٠.

(٣) السابق ص٢٥٠.

(٤) السابق ص٦٤.

(٥) السابق ص٨٦.

(٦) السابق ص٢٣٠.

وفي المثال الثالث يتساءل شيلوك في خوف وقلق بعدما علم بمطالبة ميخائيل رئيس المحكمة بقتل شيلوك.

شيلوك: "بصوت أجش" ماذا يقول هؤلاء؟ أيريدون قتلي؟ أتوافقونه على هذا؟ أتتآمرون جميعًا على حياتي؟ (١).

وفي المثال الرابع (مثال القلق والاضطراب) كان تصرف شيلوك الطبيعي للحالة النفسية التي يعيشها في تلك اللحظة، وكان قد انتهى من صفقة نزع ملكية أرض عبد الله الفياض وضمها إلى الكيان الصهيوني، وأوراق عقود نزع الملكية ملقاة أمامه على المكتب وإذا بطارق يقرع الباب الخارجي قرعًا شديدًا فكان رد فعل شيلوك هكذا "يجمع أوراقه مسرعًا ويودعها في درج المكتب... وينهض محاولا كتم اضطرابه" (٢) وهنا نتساءل لِمَ اضطرب شيلوك؟ ولِمَ حاول كتم اضطرابه في هذا الوقت؟ وفي هذه الحالة؟ لأنه يعمل ويخطط سرًا؛ ولأنه لا يريد لأحد أن يطلع على ما يقوم به من تخطيط للاستيلاء على أرض ذلك الشاب الفلسطيني.

وفي حالة الفرح نجده مسروراً بالسيطرة على الأراضي الفلسطينية:

"شيلوك: مرحى يا عزيز كوهين! هذا رأي جميل، تلتمع عيناه ببريق غريب ويشد يده على كوهين صبرًا يا عزيز كوهين، فقد عنَّ لي الساعة رأي آخر" (٣).

هذه الحالة النفسية التي يطفو عليها الفرح والسعادة لوصولهما (شيلوك وكوهين) لخطة يتم من خلالها الإطاحة بمأمور البوليس (كساب جاد)، ولماذا يخططان للإطاحة به؟ ولماذا يكرهانه؟ لأنه عربي ومن أشد الناس وطأة على الصهيونية؛ ويهتم اهتمامًا بالغًا بتعقب أعمال اليهود والكيد لخططهم بماله من السلطة البوليسية.

---

(١) السابق ص٢٥٠.

(٢) السابق ص٦٤.

(٣) السابق ص٨٧، ٨٨.

ونرى حالة الفرح أثناء توقيع الشاب عبد الله على الشيكات الخاصة بنزع الملكية وضمها لشيلوك.

"شيلوك: يتضاحك... يشد أحدهما على يد الآخر بحرارة " [١].

وهي حالة نفسية تدل على فرح شيلوك وكوهين، لإتمام الصفقة.

"شيلوك: يصيح... ويلاه... كيف؟ كيف؟ ويسقط متهالكًا على الأرض" [٢].

وتظهر هذه الحالة النفسية الضعيفة المنهارة الحزينة لشيلوك عقب تصريح أعضاء المحكمة بتحريم دخول شيلوك إلى فلسطين.

"شيلوك: آه: آه! لا بقاء لي هنا، احملوني إلى بيتي، ثم افعلوا ما شئتم، آه: يسقط مغشيًا عليه فيخف الحرس إليه.

الرئيس للحرس: احملوه إلى بيته.

يحمله الحرس ويخرجون من القاعة " [٣].

ويظهر لنا شيلوك باكثير بحالته النفسية التي تظهر عليها ملامح المكر والدهاء في كثير من تصرفاته وحركاته. مثل:

"شيلوك: يجبل أصابعه في لحيته" [٤].

"شيلوك: يمسح صلعته بكفه" [٥].

"شيلوك: ينهض من مقعده ويقف خلفها (راشيل) واضعًا يديه على كتفها" [١].

---

(١) السابق ص٦٣.

(٢) السابق ص٢٦٩.

(٣) السابق ص٢٧٠.

(٤) السابق ص ٤٦.

(٥) السابق ص٤٧.

"شيلوك: يمسك خديها (راشيل) بيديه ملاطفًا" (٢).

"لا ينفك عن تحريك شدقيه في حركة دائرية كأنه يمضغ شيئًا" (٣).

وشيلوك باكثير شخصية معادية للمجتمع، لا تحترم قوانينه، ولا مشاعر الآخرين أو احتياجاتهم، ولا تشعر بالشفقة تجاه الآخرين، بل تنزعج وتغضب وتنفعل بسهولة، وتحتج وتعترض على تصرفات الآخرين، وتسخر منهم، وهذا ما لاحظناه على شيلوك باكثير.

"شيلوك: خانقًا" (٤).

"شيلوك: ساخرًا" (٥).

"شيلوك: محتدًا" (٦).

"شيلوك: يجلس ممتعضًا، إني احتج على هذه التصرفات في بيتي" (٧).

"يجلس شيلوك مغضبًا" (٨).

"شيلوك: ينهض، واحتج على هذه الشتيمة المقذعة يجلس شيلوك كاظمًا غيظه" (٩).

---

(١) السابق ص٥٠.
(٢) السابق ص٥١.
(٣) السابق ص٤٧.
(٤) السابق ص٦٧.
(٥) السابق ص٧٠.
(٦) السابق ص٦٧.
(٧) السابق ص٧٨.
(٨) السابق ص١٥٩.
(٩) السابق ص١٦١.

"شيلوك: يقهقه قهقهة عصبية " [١].

"شيلوك: ينهض معترضًا" [٢].

"شيلوك: مقاطعًا" [٣].

"شيلوك: ينهض مغضبًا" [٤].

"شيلوك: يكظم غيظه" [٥].

"شيلوك: مغيظًا" [٦].

"شيلوك: ينهض مزمجرًا" [٧].

"شيلوك: ينهض صائحًا" [٨].

"شيلوك: مقاطعًا" [٩].

"شيلوك: محتجًا" [١٠].

شيلوك شخصية تحب الانتقام، شريرة، تعشق الدم والقتل، وتجد لذلك لذة عظيمة في نفسها. فيقول.

---

(١) السابق ص١٧٨.

(٢) السابق ص١٩٥.

(٣) السابق ص٢١٦.

(٤) السابق ص٢٢٢.

(٥) السابق ص٢٢٦.

(٦) السابق ص٢٢٨.

(٧) السابق ص٢٥١.

(٨) السابق ص٢٥٣.

(٩) السابق ص٢٥٧.

(١٠) السابق ذاته والصفحة ذاتها.

شيلوك: "أُريد أن أشم رائحة الدم، وعيني تشتهي أن ترى حمرته! "[١].

لقد ظهر لنا شيلوك باكثير بصورة واضحة وعليه ملامح الخوف والقلق والاضطراب أحيانًا، وظهر كذلك بملامح الفرح والحزن والاحتجاج أحيانًا ثانية، وبملامح الضعف والانهيار أحيانًا ثالثة، وبملامح المكر والدهاء والسخرية والكراهية أحيانًا رابعة، وكان في ذلك كله على حسب الموقف الذي تعيشه الشخصية.

(١) السابق ص١٢٧.

المبحث الثالث

آليات وصف الشخصية بين شكسبير وباكثير.

أولاً: حديث الشخصية عن نفسها.

لقد كشف شكسبير وباكثير عن شخصية شيلوك من خلال الأحداث، ومن خلال تركهما المجال للشخصية كي تعبر عن نفسها وتكشف عن جوهرها وتصرفاتها الخاصة، وشيلوك شكسبير يخاطب أنطونيو خطابًا يكشف عن دخيلته التي تنطوي على كثير من المكر والدهاء في سبيل تحقيق ما تصبو إليه "ما كل هذا الغضب؟ إنني أُريد صداقتك، وأطمع في حبك، وأتناسى الإهانات التي وجهتها إليَّ، وأُوفر لك احتياجاتك الراهنة، ولا أُطالبك بفلس واحد كفائدة لنقودي، وأنت لا تريد الإصغاء إليَّ، وإنه إكرام منى لك" (١).

لننظر إلى خداع شيلوك في حديثه التالي، الذي يوهم فيه أنطونيو بأنه يمازحه، ولكنه في حقيقة الأمر ينفث عن حقده القديم تجاهه، ويفرح فرحًا شديدًا، لتحقق الفرصة التي طال انتظاره لها.

"شيلوك: وسأبرهن على كرم نواياي ... تعال معي إلى محرر العقود، ولتوقع هناك عقدًا غير مشروط على سبيل المزاح إن لم تدفع في الموعد المحدد وفي المكان المحدد المبلغ أو المبالغ المحددة في شروط العقد، كان الجزاء رطلاً لا يزيد ولا ينقص من لحم جسمك البض، أقتطعه وآخذه من أي جزء أختاره من جسدك. " (٢).

(١) تاجر البندقية ترجمة: أحمد حسين أمين ص ٣٧، ٣٨.

(٢) السابق ص٣٨.

وبعد فترة وجيزة يكشف شيلوك عن حقيقته وعن سوء نواياه، فبعد أن كان يطمع في صداقة أنطونيو وفي حبه ويقدم له الإكرام، نجده يكشر عن أنيابه ويطالب بتنفيذ شروط العقد في إصرار وعناد تغلب عليهما روح التشفي والانتقام.

"شيلوك: حذار أن يُفلت أيها السجَّان ولا تحدثني عن الرحمة، فهو الأبله الذي كان يُقرض المال دون فوائد، وحذار أن يهرب منك.

أنطونيو: أي شايلوك الطيب، اسمعني.

شايلوك: ستُنفذ شروط العقد، فلا أسمعنك تُسفهها، وقد أقسمت على نيل حقي، كنت تدعوني كلبًا قبل أن يكون لديك سبب يدفعك إلى هذا، وحيث أني كلب فاحذر من أنيابي.

أنطونيو: أتوسل إليك أن تسمعني.

شيلوك: سأنال حقي، ولن أسمعك، ستُنفذ شروط العقد، فلا معنى لمزيد من الكلام، ولن أسمح لنفسي بأن ألين فأهز رأسي وأتراجع وأتنهد وأستجيب لشفاعة مسيحيين، لا تتبعني! فما اقبل حديثًا منك، وسأنال حقي (يخرج)" [١].

وشيلوك باكثير هو الآخر يغلب عليه الطمع كذلك فلئن كان شيلوك شكسبير يطمع في اقتطاع رطل لحم من جسد أنطونيو ومن صدره، ولا يهمه إن كان يموت أو يحيا بعد ذلك، فإن شيلوك باكثير هو الآخر يطمع في اقتطاع فلسطين من جسد الأمة العربية وبذلك يصبح من حقه – من وجهة نظره – الجسد كله. [٢].

(١) السابق ص٨٨.

(٢) شيلوك الجديد (المغامرة والحتمية التاريخية) ص ٧ بتصرف

شيلوك باكثير: "ينهض معترضًا لا وفاق حتى تقوم الدولة اليهودية في فلسطين طبقًا للصك الذي بين أيدينا، ولن نرضى بأنصاف الحلول" (١).

ولئن عُرف شيلوك شكسبير بالإصرار والعناد فلقد اتصف شيلوك باكثير أيضًا بهاتين الصفتين.

شيلوك شكسبير: "إننا لا نعرف إلاَّ حقنا ولا نطالب بغيره" (٢).

ثانيا: حديث بعض الشخصيات عن شخصية شيلوك.

كما لجأ الكاتبان كذلك إلى كشف صفات شخصية شيلوك، عن طريق حديث الشخصيات الأُخرى عنها. (٣).

فوصف بسانيو شيلوك بأنه دنيء صغير العقل يغلب عليه الشر في قوله:

"لا أطمئن إلى شروط عادلة تصدر عن وغد شرير" (٤).

كما تم وصفه بحالة من الهياج والجنون لتحسره على مجوهراته التي سرقتها ابنته وهربت بها مع عشيقها يقول:

سولانيو: لم أر في حياتي هياجًا مختلطًا غريبًا فظيعًا متقلبًا مثلما رأيته في اليهودي الكلب وهو يهتف في الطرقات "(٥).

---

(١) شيلوك الجديد ص ١٩٥.

(٢) السابق ص١٩٨.

(٣) ينظر الصفحات التالية من مسرحية "تاجر البندقية" لوليم شكسبير: ٣٩، ٤٨، ٦٥، ٨٦، ٨٩، ٩٩، ١٠٣ وينظر أيضًا الصفحات التالية من مسرحية "شيلوك الجديد" لباكثير: ١٤، ٩٠، ٢١٤، ٢٤٥، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧٥.

(٤) تاجر البندقية ص ٣٩.

(٥) السابق ص٩٥.

كما وصفه أنطونيو بالكائن المفترس الذي ينقض على فريسته ويلتهمها يقول: أشك في استطاعتي أن أُقدم رطلاً من اللحم غدًا إلى دائني المفترس" [١].

وقريب مما سبق من معنى الافتراس، وصف ساليربو هو الآخر له بالشراسة والتعطش للدم:

"ساليربو: أقسم أني ما رأيت في حياتي مخلوقًا في صورة إنسان بمثل هذه الشراسة والتعطش إلى الفتك بإنسان آخر" [٢].

إلا أن ساليربو يتفق مع سولانيو في الكشف عن عناد شيلوك وإصراره على إلحاق الضرر بأنطونيو وتوقيع ما في الصك.

ساليربو: ... وقد سعى عشرون من التجار، والدوق نفسه، وأكبر وجهاء البندقية في سبيل إقناعه فما أفلح واحد منهم في أن يصرفه عن مطالبته الحقودة بتوقيع الجزاء "[٣].

" سولانيو: ما عرف الناس بينهم من هو أكثر عنادًا من هذا الكلب "[٤].

إن شيلوك شكسبير كما وصفه الدوق" له قلب من حجارة، خال من الإنسانية، مجرد من الإحساس بالشفقة، عار من أدنى مسحة من الرحمة "[٥].

إلا أن جراشانيو هو الآخر يصف شيلوك شكسبير وصفًا مختلفًا عما سبق، إذ فيه من ملامح الحركة والدراما ما فيه، وصفا يكشف عن ملامح هذا الذئب الذي لا يُعرف عنه إلا الغدر، والخيانة والافتراس والدموية.

---

(١) السابق ص٨٩.

(٢) السابق ص٨٦.

(٣) السابق ذاته والصفحة ذاتها.

(٤) السابق ص٨٨.

(٥) السابق ص٩٩.

جراشانيو: عليك اللعنة أيها الكلب المقيت، لقد أخطأت العدالة إذ سمحت لك بالعيش حتى الآن، وإنك لتكاد تفتنني عن ديني فأعتنق رأي فيثاغورس القائل بأن أرواح الحيوانات تنتقل للسكنى في أجسام الآدميين، فما روحك الشريرة غير روح ذئب شنقوه لقتله آدميا (*) ثم طارت من المشنقة لتنتقل إليك وأنت في بطن أُمك العاهرة، ودليلي على ذلك أن رغائبك كلها، رغائب دموية جائعة مفترسة كرغائب الذئب" (١).

أما شيلوك باكثير فيجسد "الشخصية المرهوبة الجانب وذلك باعتباره محتلاً للأرض وصاحب مشروع استيطاني يريد من خلاله فرض الحجر على المواطنين بقوة الإرهاب والقمع، فإلى جانب مصادرة الأراضي ونهب الخيرات فإنه لم يكن يتردد في ممارسة أبشع أنواع الاضطهاد والعنف ضد الوطنيين الذين يبدون رفضًا لهيمنته أو مقاومة لسلطته وذلك سعيًا منه لحملهم على القبول بالاحتلال كأمر واقع لا مناص منه". (٢).

وهو عند شكسبير – أيضًا - يتجسد كل الشر في شخصيته الظالمة التي تمتص دماء الفلاحين والشباب، تمتص دماء الفقراء الذين يقترضون منه بالربا، وقد كان الشأن أيضًا عند باكثير فقد استغلت شخصية شيلوك كذلك الشباب الفلسطيني وغيرهم لانتزاع أراضيهم، فشيلوك ينال منصبًا في دولة الاحتلال، يسعى من خلالها إلى فرض هيمنته وامتصاص خيرات الشعب الفلسطيني؛ لذا وصفه خليل الدواسي قائلاً:

(*) كانت الحيوانات المفترسة تُحاكم أحيانًا وتقدم في أوروبا لافتراسها آدميين، وذلك حتى أواخر القرن السابع عشر.

(١) تاجر البندقية ص١٠٣.

(٢) بنية الشكل الروائي – حسن بحراوي طبعة أولى ١٩٩٠م – طبع المركز الثقافي العربي – بيروت، ص٢٣١.

"لعنة الله على المسيو شيلوك: لقد كان سبب نكبتي وضياع أملاكي" (١).

وكساب جاد يصف شيلوك وعصابته المجرمة في قوله: "كلا إنهم يريدون كذلك إبعاد المأمور العربي من طريقهم؛ حتى يفتنوا في ضروب الإجرام كما يشتهون دون أن يتعقب جرائمهم أحد" (٢).

ويكشف لنا عبد الله الشاب عن مخططات شيلوك ووسائله في سبيل حصوله على أهدافه:

"أجل أيها السادة، إنني لكما وصفني هذا العجوز اليهودي، ولكن سلوه عن موائد القمار وحانات العربدة ومواخير الليل التي بدَّدْتُ فيها ميراث أبي، مَنْ كان يديرها في بلادنا الطاهرة المقدسة؟ إنه شيلوك هذا وعصابته المجرمون" (٣).

لذا وصفه عبد الله الفياض بالبغي اليهودي وتمنى أن تستريح الإنسانية من شروره وآثامه. (٤).

هذه هي نظرة الخصم للخصم، وهذا هو وصف عبد الله الفياض الشاب العربي لشيلوك اليهودي، الذي دمَّر حياته بإغراقه في الديون حتى سلبه أملاكه، ونزعه ملكيته من أرض آل الفياض.

وعلى النقيض تمامًا، نجد كوهين يصف صديقه شيلوك بأنه مسكين، يستحق العطف والرثاء.

---

(١) شيلوك الجديد ص١٤.

(٢) السابق ص٩٠.

(٣) السابق ص٢١٤.

(٤) ينظر السابق ص٢٤٣.

كوهين: "ينهض" يا حضرات السادة، اعذروا هذا الشيخ، فقد ذهب ماله كله، ... فلا أقل من أن تفسحوا له مجال العذر، وتنظروا إليه بعين العطف، وهو في هذه الشيخوخة العالية. (١).

وفي موقف آخر يقول: "اعذروا هذا الشيخ المسكين أيها السادة وارثوا لحاله، فهو يستحق العطف والرثاء" (٢).

إن عبد الله الفياض يصف شيلوك بهذه الأوصاف التي رآها فيه، وكذلك وصفه كساب جاد المأمور العربي بما رآه فيه، وغيرهما كذلك فقد رآه الجميع لصًا، بل وصاحب عصابة مجرمة تسلب وتغتصب وتنهب، أليس هو سببًا في نكبة عبد الله الفياض وضياع أملاكه؟ أليس هو كذلك سببًا في نكبة خليل الدواس وضياع أملاكه هو الآخر؟ وغيرهما كثير، لذا تمنى عبد الله وغيره أن يتخلص هذا العالم من شرور شيلوك البغي وآثامه، وأن يشهد العالم مصرعه ويشيع جنازته إلى مرقده الأخير، بينما كانت نظرة الصديق مخالفة لذلك تمامًا، فالصديق يصفه بأنه مسكين ويستحق العذر والعطف والرأفة من الآخرين، وكيف لا يكون موقفه منه هكذا؟ إنه لم ير منه قط ما يسوؤه، وقد كان (كوهين) هو الذي يخطط له ويعينه على الشر والظلم.

ثالثا: الحديث الجانبي.

كما اعتمد شكسبير على تقنية الحديث الجانبي في كشفه لشخصية شيلوك وهذه التقنية معناها "أن تتحدث الشخصية إلى نفسها أو إلى شخصية ثانية في حضور شخصيات أُخرى يفترض أنها لا تسمع هذا الحديث...، ويلجأ المؤلف إلى هذا حين يريد أن يُطلع المشاهد على ما تنوي شخصية أن تأتيه من فعل أو تتخذه من تدبير بحيث تظل شخصيات المسرحية الأُخرى جاهلة به، وهكذا تنتحي الشخصية جانبًا فتنطق ببعض العبارات التي تنقل تلك المعلومات إلى المشاهدين أو تنفرد بشخصية أُخرى

(١) السابق ص٢٤٥.

(٢) السابق ص٢٧٠.

فتتناول معها أمثال تلك العبارات" [١] وعليه فالحديث الجانبي يكون مشتملاً على عبارات قصيرة، وعلى مشهد من الشخصيات الأخرى بهدف إطلاع المشاهدين على بعض الحقائق التي لابد أن تظل تلك الشخصيات جاهلة بها؛ لأن هذه العبارات غالبًا ما تكون تعليقًا ساخرًا على ما يقولونه أو مكيدة لهم.

ومن ثم فقد استخدم شكسبير هذه التقنية في مسرحيته "تاجر البندقية " في أربعة مواضع [٢].

"شيلوك: (جانبًا) (أي مع بسانيو) ما أشبهه (يقصد أنطونيو) بالعشار الذليل! إني لأكرهه لأنه مسيحي غير أني أكرهه أكثر إذ أراه بسذاجته وتواضعه يقرض المال بدون فوائد، فيقلل مما نجنيه من الربا هنا في البندقية فلو أني تمكنت من استغلال عثرة واحدة منه، لنفست عن حقدي القديم عليه، إنه يكره أُمتنا المقدسة ... أراه يسخر مني ومن صفقاتي، ومن مهاراتي العريقة في الحصول على ما يدعوه بالربا، فاللعنة على قبيلتي إن أنا غفرت له" [٣].

وبهذا الحديث الجانبي يكشف لنا شكسبير عما يعتري شيلوك، وما تنطوي عليه دخيلته من كراهية وحقد تجاه أنطونيو، بسبب أنه مسيحي وبسبب إقراضه المال للآخرين دون فوائد، ويكشف كذلك عن نفسية شيلوك المغرورة التي تحسب أنها أفضل من الآخرين، ويضاف لذلك أن هذا الوصف وما فيه من سخرية وسباب قد لا يكون صريحًا وإنما هو عن طريق الوصف المناسب للشخصية وطبيعة عملها وللوسط البيئي الذي تعيش فيه تلك الشخصية، فشيلوك وأنطونيو كلاهما تاجر يعيش في مجتمع البندقية، مجتمع تجاري يقوم على الأخذ والعطاء والقروض والفوائد وما

---

١) فن المسرحية: د/ عبد القادر القط– طبعة أولى ١٩٩٨ طبع الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان) – القاهرة.

(٢) هذه المواضع في الصفحات التالية من المسرحية: (٣٤، ٣٦، ٥٧، ١١٤).

(٣) تاجر البندقية ص٣٤، ٣٥، والعشار: جامع الضرائب.

شابه، فوصفه بالعشار الذليل، وهو جامع الضرائب الذي ألجأته الحاجة إلى الاقتراض من شيلوك، وصف دقيق ينطبق على أنطونيو الذي يقرض الآخرين ويأخذ ويجمع منهم الأموال بعد فترة من الزمن.

وفي موقف آخر يتحدث أنطونيو مع بسانيو حديثًا جانبيًا عن شيلوك قائلا: "لاحظ يا بسانيو كيف بوسع الشيطان أن يستشهد بالكتاب المقدس لدعم أغراضه، وما الروح الشريرة التي تلوح باستشهادات دينية إلاَّ كالوغد ذي الابتسامة على خديه، أو كالتفاحة العفنة ذات المظهر الجميل... ألا ما أجمل المظهر الخارجي للزور والكذب! " [١].

وهنا يكشف شكسبير عما يعتري أنطونيو وبسانيو وما تنطوي عليه دخيلتهما من كراهية وسخرية تجاه شيلوك، الذي يطوّع كل شيء لأغراضه الدنيئة، حتى النصوص والقصص الواردة بالكتاب المقدس يطوعها ويستشهد بها من أجل تبرير موقفه من الربا، إن أمره عجيب، لذا كان حديثهما هذا تعليقًا ساخرًا على كلامه من قبل عن قصة يعقوب (عليه السلام) ورعيه أغنام خاله لابان. [٢].

وكما اعتمد شكسبير على الحديث الجانبي، فقد اعتمد عليه باكثير هو الآخر، للكشف عن مكر شيلوك ودهائه وخبثه، فشيلوك "يقترب من كوهين ويُسِرُ إليه كلامًا" [٣] يتفقا من خلاله على مؤامرة ضد إبراهام ويلفقا له تهمة القتل.

رابعا: المنولوج أو (الحوار الداخلي).

ومن الوسائل الفاعلة للوقوف على استبطان دقيق للشخصية المنولوج أو (الحوار الداخلي) وهو وسيلة الكاتب إلى إدخال القارئ مباشرة في الحياة الداخلية للشخصية دون أي تدخل من جانب الكاتب عن طريق الشرح أو التعليق ومن خلاله "يتيح المؤلف

---

(١) السابق ص٣٦.

(٢) ينظر حديث شيلوك هذا في (تاجر البندقية) ص٣٥، ٣٦.

(٣) شيلوك الجديد ص٧٢.

للشخصية أن تتحدث إلى نفسها لتكشف عن أفكارها ومشاعرها الباطنة وكأنها تفكر بصوت مسموع وهو ما يعرف بنجوى النفس" [١].

ومن الملفت للنظر أن المنولوج لم يرد عند شكسبير أما عند باكثير فقد ورد مرة واحدة، حيث يتحدث عبد الله الفياض مع نفسه.

"عبد الله: يصلح رباط عنقه ويحاول كتم اضطرابه عجبًا ما الذي رجع بعمي مبكرًا على خلاف عادته؟ " [٢].

إن باكثير يدخلنا بهذا المنولوج في الحياة الداخلية لشخصية عبد الله، دون أي تدخل من الكاتب، فهو يفاجئنا بشخصية مندهشة لمجئ عمها فجأة على غير المعتاد، شخصية مضطربة، لأن الموقف نفسه محرج، فراشيل الفتاة البغي التي يعشقها عبد الله معه في بيت عمه، وهي قلقة مضطربة تطلب منه أن يرتدي ملابسه ليخرجا، ولكن فجأة يخبره عثمان الخادم بأن عمه قد أتى فيأمر عبد الله الخادم بأن يخرج براشيل خفية دون أن يراهما عمه.

وهنا يحق لنا أن نتساءل لماذا لم يرد المنولوج عند شكسبير؟ لعل سبب انعدامه عند شكسبير هو أنه لم يكن شائعًا في هذا الزمن (عند شكسبير)، أو أن نظرة الكاتب له على أنه يؤدي إلى الرتابة والملل الذي يصيب المشاهد؛ لقلة الحركة التي اعتادها المشاهد من الممثل على خشبة المسرح، لذا كان شعوره التام بأنه (المنولوج) سيعوق أو سيقلل من متعة المشاهدين لانعدام الجانب الحركي في التمثيل على خشبة المسرح، حيث إن استماعهم لممثل يحدث نفسه سيصيبهم بالملل.

(١) فن المسرحية د/ عبدالقادر القط ص٢٩.

(٢) شيلوك الجديد ص٢٣.

خامسا: الاسترجاع.

الاسترجاع من التقنيات التي يوظفها الكاتب في عمله الفني لتخليص النص من الرتابة والتحول في الشخصية بين الماضي والحاضر، وعليه فإن "المقاطع السردية الاستذكارية تتفاوت من حيث طول أو قصر المدة التي استغرقتها أثناء العودة إلى الماضي" (١).

وقد اعتمد باكثير في مسرحية (شيلوك الجديد) على هذه التقنية فاسترجع مسرحية تاجر البندقية وتذكر أحداثها وشخصياتها، ويشكل هذا الاسترجاع ظاهرة ملفتة للنظر بحكم نوعية الأحداث المطروقة وزاوية معالجتها وعرضها على القارئ، "ومدى الاستذكار يقاس بالسنوات والشهور والأيام" (٢) وقد كان مدى الاستذكار عند باكثير فترة طويلة تمثلت في عدة قرون يقول:

سوردز: "أيها السادة، لقد فكرت البارحة في هذه الكلمة فعجبت كيف يحتج بها رجل يهودي في عصرنا هذا كما احتج بها سلفه من قبل بقرون" (٣).

يقصد بالكلمة طلب فلسطين المساوي لطلب شيلوك شكسبير لرطل اللحم وبين هذا وذاك عدة قرون.

"وسعة الاستذكار تقاس بالسطور والفقرات والصفحات التي يغطيها الاستذكار من زمن السرد. " (٤) وعليه فإن باكثير يطلعنا على ماضي الشخصيات الذي فاته أن يخبرنا به، وينتهز فرصة اجتماع الجميع في محكمة القدس، لإيجاد حل لتلك القضية الفلسطينية في مشهد يقيمه بين الحاضرين في ساحة المحكمة، وسوف يجعل الكاتب هذه الشخصيات تستعيد ذكرياتها الماضية منها: شيلوك ورئيس المحكمة وميخائيل

(١) بنية الشكل الروائي – حسن بحراوي ص١٢٢.
(٢) السابق ص١٢٦.
(٣) شيلوك الجديد ص١٤٣.
(٤) بنية الشكل الروائي ص ١٢٦.

وسوردز ويستغرق القسم الأول من هذا الاستذكار ذي السعة الكبيرة ست عشرة صفحة (١٤٣ – ١٥٨) في الفصل الأول من المسرحية الثانية وفي القسم الثاني ست صفحات (٢٤٨ – ٢٥٣) في الفصل الثالث من المسرحية الثانية وفي القسم الأول يستذكر الشخصيات وملخصًا لأحداث تاجر البندقية ويذكر آراء بعض الشخصيات وردود أفعالها تجاه هذه الأحداث.

"سوردز: لشيلوك تذكر رواية البندقية جيدًا" [١].

سوردز: "ينهض" يا حضرات المستشارين اسمحوا لي اليوم أن أرد على كلمة وجهها إلينا المسيو شيلوك في نهاية جلسة أمس... تلك الكلمة التي يلمح فيها إلى رواية تاجر البندقية الشهيرة، وأُحب قبل الرد عليها أن أرجو المسيو شيلوك أن يعيدها على مسامعنا.

شيلوك: "ينهض" إني على استعداد أن أُعيدها ألف مرة ومرة، لقد وعدتمونا برطل من اللحم فأعطونا ذلك الرطل! "[٢].

وفي القسم الثاني ينفرد ميخائيل بذكره:

" أن الجريمة واحدة في القضيتين وأنها أشنع ومجالها أوسع وضررها كبير في شيلوك الجديد، فالجريمة واحدة ارتكبها مجرم واحد اسمه شيلوك ضد شخص واحد هو أنطونيو، وفي قضيتنا هذه ارتكبها عصابة كبيرة من المجرمين، ضد شعب كبير هو الشعب العربي بأسره، وأركان الجريمة في كلتيهما واحدة، وهي استغلال الظروف استغلالا آثما، والتلاعب بالقانون واتخاذه وسيلة لإحقاق الباطل وإبطال الحق، والتآمر على حياة بشرية بريئة، والتعصب الديني الأعمى الذي يدفع إلى ارتكاب الجريمة في سبيل المادة أو في سبيل الانتقام ". [٣].

---

(١) شيلوك الجديد ص١٤٨.

(٢) السابق ص١٤٣.

(٣) السابق ص٢٤٨، ٢٤٩.

ويذكر العقوبات التي تعرض لها شيلوك القديم ويطالب بتطبيق نفس العقوبات على شيلوك الجديد... إلخ. ويجعل باكثير هذا الاستذكار بمثابة محفز لإثارة الذكريات وباعث على استدعاء صور الماضي المشترك بين الشخصيات.

والقارئ لا يجهد نفسه لمعرفة نقطة انطلاق هذا الاستذكار؛ لأن الكاتب يعرضها أمامه بكامل الوضوح وقد استغل الكاتب بعض الآراء والتعليقات وردود الأفعال أحسن استغلال حين جعلها تتخلل السرد كاللازمة وتكون ذريعة لتوليد استذكارات صغرى ملحقة أو مضافة إلى الاستذكار الأكبر. (١).

" ميخائيل: قد عوقب شيلوك البندقية أولاً بحرمانه من ثمن الصك الذي بيده وهو الستة آلاف بندقي، فيجب أيها السادة أن يُحرم هؤلاء من الثمن الذي دفعوه من أجل وعد بلفور....

سوردز: "ينهض" يجب أن أشكر الأُستاذ ميخائيل إذ أعفى حكومتي وأبرأ ذمتها من ذلك الثمن الباهظ ميخائيل: الفضل في هذا لوليم شكسبير يا جنرال سوردز ....

ميخائيل: وعوقب شيلوك ثانيا بصدور حكم القتل عليه وحيث أنه يتعذر قتل هؤلاء جميعًا فيجب أن يقتل زعماؤهم المسئولون في الدرجة الأُولى عن تدبير هذه المؤامرة ... وفي مقدمتهم شيلوك هذا!.

شيلوك: بصوت أجش ماذا يقول هذا؟ أيريد قتلي؟ أتوافقونه على هذا؟ أتتآمرون جميعًا على حياتي؟ (٢).

كان الهدف من وراء إبراز هذا المخطط الموجز، ليس فقط إبراز الطول الخطي للاستذكار وتناوب الشخصيات على أخذ الكلمة، ولكن أيضًا ملاحظة وظيفة البنائية في

(١) انظر بنية الشكل الروائي ص ١٢٧.

(٢) ينظر: شيلوك الجديد، ص٢٤٩، ٢٥٠.

الرواية، فهو يملأ الثغرات الحكائية التي خلفها الخطاب بواسطة تقديم المعلومات حول ماضي الشخصيات والإشارة إلى أحداث سابقة على بداية السرد الأصلي، وبذلك تصبح للاستذكار قيمة توضيحية إلى جانب دوره التشييدي في اقتصاد السرد الروائي ككل [١].

لقد ظهرت مهارة الكاتب في استخدام هذا الاستذكار، وظهرت لديه كذلك تقنية عالية من خلال دمجه لهذا الاستذكار في السرد وتسويغ حضوره بحيث لا يظهر بمظهر العنصر الغريب المشوش في المسرحية.

سادساً: الاستشراف.

في حالات كثيرة يكون الاستشراف مجرد استباق زمني، الغرض منه التطلع إلى ما هو متوقع أو محتمل الحدوث في العالم المحكى، وهذه هي الوظيفة الأصلية والأساسية لكل أنواع الاستشرافات. [٢].

وتعتبر مسرحية (شيلوك الجديد) داخلة في استشراف المستقبل، حيث "كتبها باكثير ليعالج فيها طرفًا مما دار في فلسطين العربية من عام ١٩٣٥ إلى وقت كتابة المسرحية سنة ١٩٤٥، حيث كانت أحداث هذه الفترة هي قمة ما وصل إليه الصدام بين العرب والفلسطينيين من جهة وأعدائهم من جهة أخرى، والتي انتهت باغتصاب فلسطين من يد العرب في سنة ١٩٤٨ (بعد كتابة هذه المسرحية بثلاث سنوات فقط) وهو ما يتنبأ به الكاتب صراحة في المسرحية " [٣].

(١) ينظر: بنية الشكل الروائي ص ١٣٠.

(٢) السابق ص ١٣٣.

(٣) الشخصية الشريرة ص٢٣٢.

إن باكثير نظر إلى تلك القضية من خلال رؤية الفنان للتاريخ، وقد تحقق بعض ما رآه، ولم يتحقق البعض الآخر، رأى أن فلسطين سيتم الاستيلاء عليها، ورأى أن ذلك لن يستمر، وقد استمر، ورؤيته يغلب عليها الحس الفني لا الحس التاريخي. [١].

أما شكسبير فلم يؤد عنده الاستشراف أي دور في مسرحيته، ولم يعتمد عليه كما اعتمد عليه باكثير، ولعل ذلك لعدم وجود قضية وطنية وتاريخية يلعب من خلالها هذا الدور الذي لعبه باكثير، فقد كانت لديه (باكثير) قضية تاريخية وهي قضية القدس والدولة الفلسطينية، وهي قضية وطن وليست قضية شخصية كما كان عند شكسبير.

فباكثير يثير القضية التي سعى الأعداء لترويجها وتتمثل في زعمهم أن لهم حقا في هذا المكان وأن هذا الحق يستلزم إقامتهم وطنا لهم موظفين تأويلات دينية وتاريخية لخدمة غرضهم الاستيطاني، بينما شكسبير يسعى للكشف عن طبائع العدو وخطره الاجتماعي والاقتصادي مستعليا بعقليته كإنجليزي وقدرته على التخلص من الشرط القاتل المتمثل في اقتطاع رطل اللحم، وهذه القصة عند شكسبير رمز للتفوق العقلي بينما عند باكثير فرطل اللحم رمز للوطن المسلوب.

(١) ينظر: شيلوك الجديد (الحتمية والمغامرة التاريخية) ص ١.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه...وبعد.

آمل أن يكون هذا البحث قد كشف عن ملامح شخصية شيلوك عند شكسبير وباكثير، وأن يكون قد كشف عن مواطن الاتفاق والاختلاف بينهما، وفي هذا الإطار توصل البحث إلى النتائج التالية: -.

١. اهتم باكثير بالتصوير الجسماني لشخصية شيلوك اهتمامًا بالغاً، مما كشف عن ملامحها وطبائعها التي تنطوي عليها من الشر الظاهر على ملامح وجهها وعينيها، بينما شكسبير لم يهتم بهذا التصوير؛ لأن كل اهتمامه بالشخصية كان منصبًا على تصويرها من الداخل، من حيث الصراعات النفسية الداخلية.

٢. البعد الإنساني أقوى عند شكسبير منه عند باكثير؛ لأن شكسبير أثار فينا مشاعر العطف على شيلوك، وأتاح له الفرصة كي يبرر تصرفاته ويدافع عنها وهو يصور لنا آدميًا متعدد الأبعاد، وليس مجرد وحش كاسر بغيض يلعنه الناس.

٣. البعد الاقتصادي أقوى عند باكثير منه عند شكسبير؛ لأن شيلوك شكسبير كان سلبيًا ينتظر الفرص حتى تتاح له، وبعد ذلك يتم له السيطرة على المجال الاقتصادي، بينما شيلوك باكثير كان إيجابيًا يصنع الفرص – بنفسه – التي تمكنه من إفقار العرب وإثقال كاهلهم بكثرة الديون، ثم يسيطر على أراضيهم وعلى المجال المالي والاقتصادي.

٤. شيلوك شكسبير سلبي، لم يؤد أي دور سياسي، بينما شيلوك باكثير إيجابي، له دور كبير، يحارب على الجبهة السياسية، وشخصية نامية قادرة على تحريك الأحداث، وقلب الحقائق وتبرئة المتهم، واتهام البريء.

٥. البعد الأخلاقي عند باكثير أقوى منه عند شكسبير، نظرًا لسلبية شيلوك، بينما شيلوك باكثير شخصية إيجابية لها دور كبير في السيطرة على شباب العرب والتأثير فيهم، بشكل يمكنها من الوصول إلى ما تريد.

٦. البعد الديني أقوى عند شكسبير منه عند باكثير؛ لأن شكسبير بنى شخصية شيلوك على السمات العامة للشخصية اليهودية، وحاول أن يجمع كل خصائص اليهود وصفاتهم العامة في شخصية شيلوك، الذي يمثل الشعب اليهودي أصدق تمثيل.

٧. أما البعد الثقافي فإنه أقوى عند باكثير منه عند شكسبير؛ لأن شيلوك باكثير كان أكثر إيجابية من شيلوك شكسبير، حيث فرض بنفسه الثقافة واللغة العبريتين، ولم ينتظر حتى تتحقق له هذه الفرصة.

٨. اتفق كل من الكاتبين في البعد الاجتماعي لشيلوك، من حيث طبيعة الشخصية وعملها، وإن كان باكثير أكثر دقة في اختياره أسماء شخصياته من حيث دلالة الاسم على الشخصية وعلى عملها.

٩. البعد النفسي عند باكثير أقوى منه عند شكسبير؛ لأن شكسبير كان متعاطفًا مع شيلوك، ولم يكن باكثير كذلك، وكثيرًا ما كان (باكثير) يبصرنا بالأسباب التي دفعت شيلوك للشر والحقد ومعاداة المجتمع.

١٠. اتفق كل من الكاتبين في استخدام أبسط ما يمكن استخدامه من الشخصيات، أقصد الشخصيات النمطية التي لا تمثل إلا جانبًا واحدًا من الأخلاق أو الطباع فكاظم الفياض وميخائيل وأخوه كساب وعبد الله الفياض يمثلون الثورة الفلسطينية، وشيلوك وبقية رجاله من الصهاينة يمثلون الوجه القبيح للمحتل، كما اتفقا في استخدام الجانب الطبقي للشخصيات، فقد استخدم شكسبير شخصية السيد (شيلوك) والخادم (لانسلوت) والسيدة

(بورشيا) والخادمة (نيربسا) واستخدم باكثير شخصية السيد (كاظم بك الفياض) والخادم (رجب) و(عبد الله الفياض) والخادم (عثمان) وهكذا.

١١. اختلف الكاتبان في استخدامهما (المنولوج) فقد ورد عند باكثير، ولم يرد عند شكسبير، وكان وروده عند باكثير مرة واحدة، ولعل ذلك راجع لعدم شيوعه في هذا الزمن، أو أن وجوده سيصيب المشاهد بالملل لقلة الحركة التي اعتادها المشاهد على خشبة المسرح.

١٢. اتفق الكاتبان في كشفهما لشخصية (شيلوك) من خلال ما يلي:

- الأحداث.
- ترك المجال للشخصية كي تعبر عن نفسها وتكشف عن جوهرها.
- تصرفاتها الخاصة.
- حديث الشخصيات الأخرى عنها.
- الحديث الجانبي.

وبعد فأرجو أن يكون البحث قد كشف عن جانب جديد من الجوانب المتعلقة بفن المسرح، وأوضح فروقًا جوهرية بين كاتبين كبيرين من كُتَّاب المسرح من خلال تناولهما لشخصية شيلوك.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المصادر والمراجع

١. بنية الشكل الروائي – حسن بحراوي طبعة أولى ١٩٩٠م – طبع المركز الثقافي العربي – بيروت.

٢. تاجر البندقية – ويليام شكسبير ترجمة حسين أحمد أمين طبع دار الشروق ١٩٩٤م الطبعة الأولى.

٣. خاب سعي العشاق – وليم شكسبير ترجمة / إبراهيم جلال – طبعة أولى ٢٠١٠ – الدار العالمية للكتب والنشر.

٤. دراسات في القصة والمسرح – محمود تيمور- المطبعة النموذجية.

٥. الشخصية الشريرة في الأدب المسرحي د/ عصام بهي - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٧م.

٦. الشخصية في قصص عبد الحميد جودة السحار د/ عبد الناصر السعيد مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة العدد الحادي والعشرون ١٤٢٤هـ ٢٠٠٢ م الجزء الأول.

٧. شيلوك الجديد – على أحمد باكثير – مكتبة مصر – دار مصر للطباعة.

٨. شيلوك الجديد (المغامرة والحتمية التاريخية) دراسة لمسرحية على أحمد باكثير د. محمد عباس عرابي مجلة رابطة الأدب الإسلامي العالمية. العدد العاشر بتاريخ ١/ ١١/ ٢٠١١م.

٩. على أحمد باكثير في مرآة عصره د/ محمد أبوبكر حميد – دار مصر للطباعة والنشر – مكتبة مصر.

١٠. فن المسرحية: د/ عبد القادر القط– طبعة أولى ١٩٩٨ طبع الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان) – القاهرة.

١١. فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية – على أحمد باكثير – طبعة ثالثة ١٩٨٥م – مكتبة مصر – القاهرة.

١٢. في المسرح المصري د/ محمد مندور – دار نهضة مصر – القاهرة.

١٣. قيم فنية وجمالية في مسرح شكسبير "تاجر البندقية" نموذجًا د/ فرج محمد فرج – مجلة كلية التربية النوعية – جامعة المنوفية – العدد الثاني – يونيه ٢٠١٤ الجزء الأول.

١٤. لسان العرب - ابن منظور – طبعة دار المعارف – الجزء الثاني.

١٥. المسرحية في الأدب العربي الحديث د/ محمد يوسف نجم – الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

١٦. المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها د/ عمر الدسوقي - طبع دار الفكر العربي.

١٧. معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية د/ إبراهيم حماده – طبعة دار المعارف.

١٨. النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال – نهضة مصر.